المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للقضاء
قسم السياسة الشرعية
الشعبة العامة

رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

(دراسة مقارنة بالقانون الدولي العام)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير
في قسم السياسة الشرعية

إعداد الطالب :
عبد الرحمن بن عبد الله التويجري

المشرف العلمي :
د/ سعد بن مطر العتيبي

١٤٣٣هـ - ١٤٣٤هـ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

يقول الله –جلّ وعلا– : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب٢١]، إن مفهوم القدوة مفهوم شامل واسع أوسع من اللباس والشراب والتصرفات، لذا فمن الخطأ الكبير والجناية العظيمة أن تُجتزأ القدوة في تصرفات شخصية ذاتية هي راجعة لشخص الإنسان بالتزكية والاتباع فحسب، بل لابد أن تتسع القدوة إلى القدوة في بناء الحضارات ورسم السياسات وتكوين دولة الإسلام ثم تمكينها في الأرض .

النبي ﷺ قضى عمره كله مجاهدا بائعاً نفسه وماله رخيصة في سبيل الله، لتقوم دولة الإسلام الخالدة، ولم ولن يمرَّ على وجه التاريخ مثلها، في قمة عالية يصبوا إليها الناس ويتمثلوها في حياتهم علّهم أن يقيموا حضارة إسلامية على أنقاض تلك الحضارة المحمدية التي ضربت جذورها في أعماق التاريخ، ويعيدوا مجد الأمة المسلوب .

وإن من مصادر القدوة المحمدية في بناء الحضارة الإسلامية تلك المناهج التي رسمها لنا النبي ﷺ في مراسلاته إلى الملوك والأمراء بل وحتى العشائر ورؤساء القبائل ، تحمل في طياتها معالم من السياسة والبلاغة والبيان؛ واللطف في الدعوة والإحسان ما يعجز عن تسطير روعتها القلم والبنان.

إنها الشمولية التي تجلت في حياة هذا النبي العظيم ﷺ شمولية البلاغ والدعوة ، فلم يقتصر على من حوله من العشائر والقبائل بل تعداهم إلى ماوراءهم وإلى ما وراء الجزيرة العربية من ملوك وفارس والروم وغيرهم، وصدق الله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ٢٨] .

ومن تلك الرسائل والكتب التي كتبها النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء ، تلك الرسالة التي أرسلها النبي ﷺ إلى النجاشي (أَصْحَمَة) ملك الحبشة ، وحمل الرسالة الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وهذا نصها:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلو(كذا بدون ألف) نصيحتي والسلام على من اتتبع (كذا بتائين) الهدى " (١)

ولما كانت هذه الرسالة وثيقة من الوثائق النبوية الهامة ، والتي تحمل في طيّاتها علوما وكنوزا تضاف إلى المنهج السياسي الشرعي ، جاء هذا الاختيار لموضوع البحث ، والله أسأل التوفيق و منه العون والسداد .

أهمية البحث :

١- كونه يتناول أمرا مهما ينبغي الاهتمام به ألا وهو (الوثائق النبوية) ، حيث إنها مصدر من المصادر السياسية الشرعية الثريّة.

٢- هذا البحث دراسة لسنة رسول الله ﷺ وسيرته في رسائله وكتاباته وأكْرِم بها من ساعات تقضى في مطالعة سيرته.

٣- أن مجال البحث متعلقٌ بالميدان العملي الذي طبق فيه الرسول الكريم -صلوات ربي وسلامه عليه- شريعته ، مما يكسب الباحث منهجاً أبعد ما يكون عن النظريات المتكلفة والافتراضات الجدلية.

---

(١) ورد أصل هذه الرسالة من طريقين الأول : من طريق الواقدي عند ابن سعد في الطبقات (١/٢٥٨،٢٥٩) وغيره، و الثاني : من طريق ابن إسحاق عند الطبري في تاريخه (٢/١٣٢،١٣١) وغيره، وحيث أن المقام ليس مقام دراسة الطرق والأخبار الواردة في بيان نص الوثيقة وإنما مكان ذلك في صلب البحث لذا أرجئت الحديث عنه هناك، راجع ص ٢٩-٣٥ .

٤- قلة الكتابة الإسلامية في مجال (الوثائق النبوية) ، وما تحمله من رصيد سياسي ضخم مع مقارنة ذلك بالقانون الدولي المعاصر.

المشكلة البحثية :

١- أساس فكرة الموضوع :

جاءت فكرة هذا الموضوع على خلفية تخصُّصي في قسم السياسة الشرعية، ففي أثناء الدراسة تجلى لي الكثير من السياسات الشرعية التي كان للإسلام السبق في تقريرها وتطبيقها، ومن هذه السياسات (السياسة في الكتابات والرسائل النبوية) والتي لم تنل حظها من البحوث والدراسات المتخصصة، فكان هذا حافزاً لي للبحث في هذا المجال. ولما كان من المتعذر بحث واستقصاء كل السياسات التي طبقها الرسول الكريم ﷺ في كتاباته ورسائله ، رأيت أن أقتصر ذلك على رسالة من رسائله والتي لم يسبق لأحد أن قام بدراستها دراسة سياسية، فكان هذا البحث الذي أسأل الله – جل وعلا – أن يعينني على إتمامه وإخراجه كما يجب.

٢- محل الإشكال :

إعجاب كثير من أبناء المسلمين بالحضارة الغربية خاصة في مجال القوانين والأنظمة التي سنَّها أولئك القوم وظنوا بذلك حيازة السبق والتقدم والريادة ! ، وما هم والله إلا خُلوف لدولة الإسلام التي قامت قبل قيامهم ، ونهضت قبل نهضتهم ، فالسبق كل السَّبق لدولة الإسلام خاصة في مجال التنظيم والتسييس ، ومن تلك السياسات التي سبق الإسلام بها الغرب تلك الرسائل والبعثات إلى الدول المجاورة .

ومن هنا جاء الإشكال الذي يحاول هذا البحث إيضاح جزء منه في دراسة سياسية شرعية يدرك بها القارئ بإذن الله ما لدى الدولة الإسلامية من السبق والتقدم في هذا المجال.

٣- تساؤلات البحث :

يسعى البحث بأكمله إلى محاولة الإجابة على أسئلةٍ ثلاث هي:

- ما هي الجوانب والمعالم السياسية المستفادة من رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي؟.

- كيفية المقارنة بين تلك السياسات النبوية المستفادة من الرسالة بالقانون الدولي المعاصر ؟.
- ما هو السبق الريادي الذي حققته السياسات النبوية في مجال العلاقات الدولية ؟.

أسباب اختيار الموضوع :

١- ما سبق بيانه في (أهمية الموضوع).

٢- المساهمة في وضع لبنة في بناء القانون الدولي العام في الفقه الإسلامي وهو ماصطاح عليه في كتب الفقهاء (بالسِّير) وهو جانب قلت الكتابات الأصلية فيه في عصرنا الراهن مقارنة بالكتابات التي تتعلق بالفقه الجنائي والأحوال الشخصية وتدوين أقوال الفقهاء والمجتهدين .

٣- أن الوثيقة السياسية النبوية لها أهمية عظمى في الفقه الإسلامي ، حيث إنها نص تشريعي مكتوب ، يترتب عليه آثارا والتزامات ، ويستفاد منها أحكاما وسياسات ، وكانت هذه الرسالة إلى النجاشي وثيقة سياسية من وثائق الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ في علاقاتها مع غيرها من الدول والأقاليم ، ومن ثَم فإنها تكون مجالا للمقارنة بالقانون الدولي المعاصر.

٤- أن هذه الرسالة إلى النجاشي على وجه الخصوص ، تُبرز أثرا من آثار تطبيق السياسة الشرعية في الأرض ، فما إن وصلت تلك الرسالة إلى النجاشي مع مبعوث النبي ﷺ إلا ويعلن إسلامه ويصبح أول ملك يشهر إسلامه في العهد الإسلامي الجديد .

٥- تقريب هذا الموضوع و لمّ شمله للباحثين والمتخصصين وغيرهم لكي يسهل الاطلاع عليه .

الدراسات السابقة :

بعد رجوعي إلى عدد من المكتبات والمواقع الالكترونية المتخصصة في هذا المجال ، لم أجد دراسة مستقلة في نفس الموضوع الذي أبحث فيه ، إلا ما جاء في كتابين اثنين هما :

الأول : كتاب (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) للدكتور محمد حميد الله ، لكن هذا الكتاب ذكر فيه مؤلفه مجموعة الوثائق فقط دون بيان لأحكامها السياسية ومن ضمنها هذه الوثيقة .

الثاني : كتاب (الفقه السياسي للوثائق النبوية) للدكتور خالد الفهداوي ، وهذا الكتاب ذكر فيه مؤلفه أغلب الوثائق النبوية ومن ضمنها رسالة النبي إلى النجاشي ، لكن كل ما ذكر فيها هو الرسالة وشرحها مع استنتاج بعض الفوائد منها من غير استقصاء لما حوته هذه الرسالة من السياسات النبوية التشريعية .

لكن موضوع بحثي هو (رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ، دراسة مقارنة بالقانون الدولي العام) على وجه الخصوص ،حيث إني سأشرح هذه الرسالة – على قدر الوسع والطاقة – وأستخرج ماورد فيها من فقه السياسة الشرعية وأقارن ذلك بالقانون الدولي العام والمعمول به في الدول الحديثة اليوم.

منهج البحث :

ويتضمن ثلاثة أمور :

الأول : منهج الكتابة في الموضوع :

١- الاعتماد عند الكتابة على المصادر الأصلية – ما أمكن إلى ذلك – وفي كل مبحث بحسبه .

٢- في المسائل الخلافية – إن كانت هناك مسائل خلافية – أحرر محل النزاع ثم أذكر الأقوال في المسائل مقتصرا على المشهور من المذاهب الأربعة في الغالب مع ذكر الأدلة لكل قول ثم أتبع ذلك ببيان القول الراجح فيها على ما يظهر لي رجحانه وسبب الترجيح .

٣- الحرص على التزام المنهج العلمي ، والموضوعية في الطرح ، والتجرد عن الأهواء والأحكام المسبقة ، مع البعد عن التعصب ، والتجريح للرأي المخالف .

٤- الحرص على التسلل المنطقي في عرض المادة العلمية .

٥- يكون مقدار البحث لأي مسألة حسب ما يناسب مقام ذكرها في البحث.

٦- كتابة البحث بأسلوبي الخاص، بمعنى: أن أنقل عن المصادر بالمعنى لا بالنص غالباً، ما لم يكن المقام يتطلب ذلك الكلام بنصه فأذكره على ما هو عليه وأشير إليه بالحاشية.

٧- الاعتراف بالسبق لأهله، في تقرير فكرة، أو نصب دليل، أو مناقشته، أو ضرب مثال أو ترجيح رأي أو غيرها...، وذلك بذكره في صلب البحث أو الإحالة على مصدره في الهامش .

ثانيا : منهج التعليق والتهميش :

١- أعزو الآيات إلى سورها وأرقامها .

٢- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية وذلك بأن أحيل إلى المصدر مع ذكر الكتاب والجزء والصفحة ورقم الحديث – إن وجد – أو الأثر إن كان مذكورا في المصدر.

٣- أذكر درجة كل حديث من حيث الصحة والضعف إن لم يكن في الصحيحين أو أحدهما ، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بذلك .

٤- توثيق المعاني اللغوية من معاجم اللغة المعتمدة وتكون الإحالة عليها بالجزء أو الصفحة .

٥- توثيق المعاني الاصطلاحية وما يرد من غريب الألفاظ في الكتب المتخصصة بها أو كتب أهل الفن الذي يتبعه هذا المصطلح أو من كتب المصطلحات المعتمدة .

٦- تكون الإحالة إلى المصدر في حالة النقل الحرفي منه بذكر اسمه والجزء والصفحة ، وفي حالة النقل بالمعنى أذكر مسبقاً بكلمة (انظر...) .

٧- المعلومات المتعلقة بالمراجع (النشر، رقم الطباعة، ومكانها، وتاريخها ...إلخ)، أكتفي بذكرها في قائمة المصادر والمراجع، ولا أذكر شيئاً من ذلك في هامش البحث .

ثالثاً : ما يتعلق بالناحية التشكيلية والتنظيمية :

١- الاعتناء بصحة المكتوب، وسلامته من الناحية اللغوية والاملائية والنحوية ومراعاة حسن تناسق الكلام ورقي أسلوبه.

٢- العناية بضبط الألفاظ، وخاصة التي يترتب على عدم ضبطها شيء من الغموض، أو إحداث لبس، أو احتمال بعيد.

٣- العناية بعلامات الترقيم، ووضعها في مواضعها الصحيحة.

٤- أضع عند نهاية كل مسألة، أو مطلب، أو مبحث ...إلخ، ما يدل على انتهائه من العلامات المميزة.

٥- أضع الآيات بين قوسين بهذا الشكل ﴿ ﴾

٦- أضع الأحاديث بين قوسين بهذا الشكل (( ))

٧- أضع ما نقلته بنصه بين قوسين بهذا الشكل " "

٨- ألتزم بكل ما يطلب مني سواء من القسم أو من المشرف عند رغبة التعديل أو إضافة مباحث جديدة .

خطة البحث :

وتشتمل على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة ، وهي كالتالي :

المقدمة :

وتشتمل على الافتتاحية، وأهمية البحث، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

التمهيد :

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث، وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول : تعريف الرسالة

المطلب الثاني : تعريف القانون الدولي الإسلامي (فقه السِّير)

المطلب الثالث : تعريف القانون الدولي العام

المبحث الثاني : نص الرسالة وتوثيقها، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : في تعيين شخصية النجاشي الذي كاتبه النبي ﷺ

المطلب الثاني : أصح الطرق والأخبار في بيان نص الوثيقة المرسلة من النبي ﷺ للنجاشي

المبحث الثالث : الموقف من الرسالة ، وتحته مطلبان:

المطلب الأول : حال الحبشة قبل إرسال الرسالة، وتحته أربعة فروع :

الفرع الأول : نبذة عامة عن أرض الحبشة

الفرع الثاني : ديانة أهل الحبشة

الفرع الثالث : قصة تملك النجاشي أَصْحَمَة للحبشة

الفرع الرابع : علاقة الحبشة بالجزيرة العربية

المطلب الثاني : موقف النجاشي من رسالة النبي ﷺ، وتحته فرعان :

الفرع الأول : تحديد وقت إسلام النجاشي

الفرع الثاني : جواب النجاشي على رسالة النبي ﷺ

الفصل الأول :

فقه السياسة الشرعية في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : التفسير السياسي لنص الرسالة، وتحته ستة مطالب :

المطلب الأول : شعار الوثيقة النبوية

المطلب الثاني : البدء بتعريف المُرسِل

المطلب الثالث : تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه

المطلب الرابع : تحية المُرسَل إليه وتوديعه

المطلب الخامس : موضوع الوثيقة النبوية

المطلب السادس : لغة الوثيقة النبوية

المبحث الثاني : السياسة في اختيار الرسل وإرسالهم، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : صفات الرسل والسفراء

المطلب الثاني : لمحة تعريفية عن الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه

المبحث الثالث : المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : التوقيت المناسب في مراسلات النبي ﷺ

المطلب الثاني : فوائد المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية

المبحث الرابع : المكاسب السياسية للرسائل النبوية

الفصل الثاني :

مقارنة فقه السياسة الشرعية في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي بالقانون الدولي العام

وتحته ستة مباحث :

المبحث الأول : وظائف الرسل ومهماتهم، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الثاني : حصانة الرسل، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الثالث : آثار الاعتداء على الرسل، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الرابع : قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الخامس : الاعتراف بالسيادة، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : الاعتراف في القانون الدولي

المطلب الثاني : أنواع الاعترافات في الواقع الدولي المعاصر، ومقارنة ذلك بالفقه السياسي الشرعي

المبحث السادس : أساسيات في كتابة النص الرِّسالي، وتحته ثمانية مطالب :

المطلب الأول : شعار المذكرة الدبلوماسية

المطلب الثاني : البدء بتعريف المُرسِل

المطلب الثالث : طريقة نقل المذكرات الدبلوماسية

المطلب الرابع : تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه

المطلب الخامس : تحية المُرسَل إليه

المطلب السادس : اللغة التي تُكتب بها المذكرات

المطلب السابع : وضع التاريخ على المذكرات

المطلب الثامن : ختم المذكرات

الخاتمة : وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس : وتشتمل على :

- **فهرس الآيات القرآنية .**
- **فهرس الأحاديث النبوية .**
- **فهرس الأعلام .**
- **فهرس المصادر والمراجع .**
- **فهرس الموضوعات .**

التمهيـد

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث ، وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول : تعريف الرسالة

المطلب الثاني : تعريف القانون الدولي الإسلامي (فقه السِّير)

المطلب الثالث : تعريف القانون الدولي العام

المبحث الثاني : نص الرسالة وتوثيقها ، وتحته مطلبان:

المطلب الأول : في تعيين شخصية النجاشي الذي كاتبه النبي ﷺ

المطلب الثاني : أصح الطرق والأخبار في بيان نص الوثيقة المرسلة من النبي ﷺ للنجاشي

المبحث الثالث : الموقف من الرسالة ، وتحته مطلبان:

المطلب الأول : حال الحبشة قبل إرسال الرسالة، وتحته أربعة فروع :

الفرع الأول : نبذة عامة عن أرض الحبشة

الفرع الثاني : ديانة أهل الحبشة

الفرع الثالث : قصة تملك النجاشي أَصْحَمَة للحبشة

الفرع الرابع : علاقة الحبشة بالجزيرة العربية

المطلب الثاني : موقف النجاشي من رسالة النبي ﷺ، وتحته فرعان :

الفرع الأول : تحديد وقت إسلام النجاشي

الفرع الثاني : جواب النجاشي على رسالة النبي ﷺ

المبحث الأول

التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث

وتحته ثلاث مطالب:

المطلب الأول : تعريف الرسالة

الرسالة في اللغة:

مأخوذة من الرَّسْل والراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد .

ويقال: رَاَسَله مُراَسلة فهو مراسِلٌ ورَسِيْل، وترَاسل القوم أي أرسل بعضهم إلى بعض.

والإرسال التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه، ، ومنه المرسلات وهي الرياح أو الملائكة، والاسم (الرسالة) بالكسر والفتح، والجمع رسائل .

والرسالة في الاصطلاح:

هي الكلام الذي أُرسل إلى الغير، وأرسلت فلانا في رسالة، فهو مُرْسَلٌ ورَسُول .

وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رَسُول أي ذو رسالة، والرسول: اسم من أرسلت وكذلك الرسالة .

وتأتي الرِّسالة أيضاً بمعنى : المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد(١).

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ب/ اللام، ف/ الراء ١٠٠٦؛ ولسان العرب لابن منظور ب/ اللام، ف/ الراء، مادة (رسل) ٢٨١/١١-٢٨٤؛ والصحاح للجوهري ب/ اللام، ف/ الراء، مادة (رسل) ١٧٠٩/٤؛ و معجم مقاييس اللغة لابن فارس ك/ الراء، مادة (رسل) ٢/ ٣٩٢؛ وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ف/ الراء مع اللام، مادة (رسل) ٢٩/ ٧٣-٧٧؛ وكتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي ف/ الألف والراء، مادة (الإرسال) ٩٨؛ وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي١/ ٨٥٩ .

المطلب الثاني
تعريف القانون الدولي الإسلامي (فقه السِّير)

أولاً : المراد بـ (القانون) و (الدولي) مفردة :

(القانون) : كلمة قانون ليست عربية بل هي فارسية الأصل أو رومية دخلت إلى اللغة العربية عن طريق السريانية(١) .

ومعناها الأصل أو مقياس الشيء وطريقه، وتجمع على قوانين بمعنى الأصول(٢)، ثم صارت تطلق بمعنى القاعدة، وتطلق إطلاقاً عاماً على كل أمر كلي ينطبق على جميع جزئياته التي نتعرف بها على الأحكام(٣).

وهذه الكلمة المقصود منها أنها تعبر بطريقة ذات مغزى أكبر عن فرع القانون الذي يطلق عليه اسم قانون الأمم(٤).

(الدولي) : أصلها من الدّوْل وهي لغة في الدّلْو وانقلاب الدهر من حال إلى حال، ودالت الأيام أي : دارت ، والدولة ترجع إلى دَوْل وهي اسم الشيء الذي يتداول بعينه ، والجمع دَوْلات ودُوَل، ودال الثوب يدول أي بلي(٥) .

ثانياً : المراد بـ (القانون الدولي الإسلامي) مركبة :

(القانون الدولي الإسلامي) : إن مصطلح القانون الدولي الإسلامي من المصطلحات الحديثة التي لم يستخدمها الفقهاء المسلمون، ومع ذلك فليس من نتائج عدم استخدام هذا المصطلح أن الفقه الإسلامي لم يعرف الأحكام القانونية الدولية ، فقد عرفها ولكن في إطار آخر، حيث تناول الفقهاء علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى في أبواب

---

(١) العلاقات الدولية في الإسلام لعثمان جمعة ضميرية ١٥ .

(٢) القاموس المحيط ب/النون، ف/القاف ١٢٢٦؛ والتعريفات للجرجاني٢١٩ .

(٣) لسان العرب ب/النون، ف/القاف، مادة (قنن) ٣٤٩/١٣، ٣٥٠ .

(٤) قاموس بنغوين للعلاقات الدولية غراهام أنيانز وجيفري نونيهام ٣٥٢،نقلاً عن رسالة النبي ﷺ إلى هرقل للعقيل١١ .

(٥) القاموس المحيط ب/ اللام، ف/الدال ١٠٠١؛ ولسان العرب ب/ اللام، ف/الدال، مادة (دول) ٢٥٢/١١ .

الجهاد، وفيما كتبوه عن السِّير والمغازي وفي بعض المؤلفات عن الخراج والسياسة الشرعية كذلك(١) .

ولهذا فإن التعبير الحديث عن طبيعة علاقة الدول مع بعضها البعض بـ"القانون الدولي العام" هو مندرج تحت ما يسمى عند علماء المسلمين بـ"فقه السِّير" ومن هنا يحسن بنا التعريج عليه بشيء من التبيان والتوضيح .

ثالثاً : المراد بـ (فقه السِّير) لغة واصطلاحاً :

تعريف "السِّير "في اللغة :

السين والياء والراء أصل يدل على مضي وجريان، يقال سار يسير سيرا، وذلك يكون ليلا ونهارا، والسيرة: الطريقة في الشيء والسنة؛ لأنها تسير وتجري(٢) .

وتطلق أيضا ويراد بها الهيئة(٣) .

ومنه قوله تعالى : ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [سورة طه:٢١] أي الحالة التي كان عليها من كونها عوداً(٤) .

تعريف "السِّير" في الاصطلاح الفقهي:

وجد مصطلح (السِّير) عند الفقهاء المتقدمين حيث ذكروا له عدة تعاريف متقاربة من ذلك : ماجاء في المبسوط :" سمي هذا الكتاب (يعني كتاب السِّير ضمن المبسوط)؛ لأنه يبين فيه سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب ، ومع أهل العهد منهم من المُسْتأمنين وأهل الذمة ومع المرتدين الذين هم أخبث الكفار بالإنكار بعد الإقرار ، ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين"(٥) .

---

(١) أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني د عثمان جمعة ضميرية ٢٢٦،٢٢٧.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس٣/١٢٠،١٢١ .

(٣) لسان العرب ،ب/ الراء، ف/السين مادة (سير) ٤/٣٩٠ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني٢/٧ .

(٥) المبسوط للسرخسي١٠/٢ .

وفي أنيس الفقهاء : "السِّير ..غلبت في لسان الشرع على أمور المغازي؛ لأن أول أمرنا السِّير إلى العدو، وأن المراد بها: سير الإمام ومعاملاته مع الغزاة والأنصار ومع العُداة والكفار"(١) .

ويمكن أن يعرف (علم السِّير) بأنه : "علم يبحث المسائل والأحكام التي تبين طرق تعامل الدولة الإسلامية (دار الإسلام)، مع غيرها من الدول والجماعات والأفراد – من أهل الملل الأخرى – في الداخل والخارج "(٢) .

ويلاحظ في هذا التعريف أن (علم السِّير) يقصر على الكفار الأصليين فلم يلحق فيه البغاة والمرتدين .

ولعل هذا التعريف أقرب التعاريف لمقصود جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة خلافاً للحنفية(٣) .

وفي العصر الحديث درج كثير من الكتّاب والمؤلفين في الفقه الإسلامي على استخدام كلمة القانون في فروع كثيرة من الفقه مثل:"قانون الأحوال الشخصية" و"القانون الجنائي" و"القانون الدولي" مضافة إلى الإسلام أو الشريعة ، وكان ذلك نتيجة الدراسة المقارنة بين الشريعة والقانون، ورغبة في تقريب أحكام الفقه الإسلامي إلى غير المختصين(٤) .

ومن هنا برز هذا المصطلح مصطلح (القانون الدولي الإسلامي) الجديد في لفظه وتركيبه، القديم في مقصوده ومضمونه ولقد عُرِّف بتعاريف كثيرة منها :

"القواعد الملزمة في معاملة غير المسلمين ، محاربين أو مسالمين ، سواء كانوا أشخاصاً أم دولاً ، في دار الإسلام أم في خارجها"(٥) .

وعرفه بعضهم بقوله "مجموعة القواعد والأحكام في الشريعة الإسلامية التي تلتزم بها الدولة الإسلامية في علاقاتها مع الدول الأخرى"(٦) .

---

(١) أنيس الفقهاء للقونوي٦٤ .

(٢) فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغير المسلمين د.سعد العتيبي ٧٠ .

(٣) انظر: المرجع السابق ٦٩،٧٠ .

(٤) العلاقات الدولية في الإسلام د.عثمان جمعة ضميرية ٣٨ .

(٥) الشرع الدولي في الإسلام د.نجيب أرمنازي ٤٤ .

(٦) مجموعة بحوث فقهية د.عبد الكريم زيدان١٤.

المطلب الثالث

تعريف القانون الدولي العام

أولاً : المراد بـ (القانون) و (الدولي) مفردة :

أما عن كلمتي (القانون) و(الدولي) فقد سبق الكلام عنها قريباً[١].

ثانياً : المراد بـ (القانون الدولي العام) مركبة :

فقد اختلف القانونيون أنفسهم في تعريفه حتى إن بعضهم أوصل هذه التعاريف إلى أكثر من مائة تعريف ، ولعل السبب في هذا الاختلاف هو اختلافهم في نظرتهم إلى كنه هذا القانون وذلك تبعاً لمدارسهم القانونية التي يختلف بعضها عن البعض الآخر، بسبب تغير وجهات النظر من قبل أرباب هذه المدارس واتساع مفهوم القانون الدولي العام عند البعض وضيقه عند البعض الآخر[٢] .

ثم إن لهذا القانون تسميات عديدة منها : قانون الشعوب أو قانون البشر ، وقانون الحرب والسلم ، وقانون الجنس البشري ، والقانون السياسي الخارجي[٣] .

ومما عُرِّف به القانون الدولي العام ما يلي :

قيل هو: "مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات بين الدول وتحدد حقوق كل منها وواجباته"[٤] .

وقيل هو : "مجموعة القواعد القانونية التي تحدد حقوق الدول والتزاماتها فيما بينها وفي مواجهة المنظمات الدولية، كما تبين لنا قواعد التنظيم الدولي ومدى الحماية التي يعطيها القانون الدولي لحقوق الإنسان"[٥] .

---

(١) في المطلب الثاني في الفقرة الأولى .

(٢) انظر : فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغير المسلمين ٧٩.

(٣) محاضرات في القانون الدولي العام د. محمد المجذوب٤، نقلا عن فقه المتغيرات ٧٩.

(٤) القانون الدولي العام علي صادق أبو هيف١٨.

(٥) القانون الدولي العام د.عبد الواحد الفار١٠ .

المبحث الثاني
نص الرسالة وتوثيقها

مدخل :

يَجمل بين يدي هذا المبحث القول بأن نسبة شيء إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو صفة أو غيرها يجب أن تخضع إلى قواعد صارمة في التدقيق والتحقيق ، ورسائل النبي ﷺ من قبيل القول التي يجب أن تمر على قواعد التدقيق والتحقيق ، ورسائل النبي ﷺ في مجملها موثقة توثيقا يرفعها إلى مستوى المسلمات التاريخية والحقائق الأثرية التي لا تقبل الريب ، وذلك لتضافر الأدلة على صحتها بصورة عامة ، ومن ذلك ما يلي :

١- تواتر خبر هذه الرسائل في أمهات المصادر القديمة ، واستفاض ذكر نصوص بعضها ، ومنها ما يلي :

أ- دواوين السنة النبوية التي لا يعلى عليها في التثبت والتوثيق ، اللذين انفرد المسلمون بها في نقل الأخبار ، كالصحيحين والسنن والمسانيد والمجاميع والمصنفات وغيرها.

ب- كتب السِّيرة والتاريخ والأدب مثل طبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ اليعقوبي ، وعيون الأثر لابن سيد الناس ، والبداية والنهاية لابن كثير، وإعلام السائلين لابن طولون وغيرها

ج- المراجع التاريخية غير العربية المختصة بتاريخ الجهات التي أرسل النبي ﷺ إليها فقد أكدت ذلك مثل [Budge, A History of Ethiopia][1] .

٢- إن بعض التفصيلات التي تضمنتها أخبار الرسائل ، قد أكدها الوقائع وظهر أثرها للعيان ، وبخاصة الهدايا التي أرسلها بعض الملوك والأمراء مع الإجابات التي حملها السفراء لدى دعوتهم ، وما نتج عنها.

---

(١) هذا الكتاب اسمه: تاريخ من أثيوبيا والنوبة والحبشة، المؤلف(Ernest A. Wallis Budge (Sir. .

٣- تم العثور عل خمسة رقوق[١] ، تتضمن رسائل النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى النجاشي ملك الحبشة ، وإلى المقوقس عظيم القبط ، وقد أجريت لها دراسات وأبحاث اشترك فيها عدد من العلماء والخبراء المتخصصين ، من المسلمين والمستشرقين أكدت صحة بعضها واختلف الرأي في البعض الآخر[٢].

وفي الجملة ، فإن عامة رسائل النبي ﷺ ومكاتباته للملوك والأمراء صحيحة يجزم بوقوعها من له أدنى نظر في السيرة المحمدية ، لكن عندما نريد دراسة نص الوثيقة أو المكاتبة التي وقعت من النبي ﷺ للنجاشي على وجه الخصوص فإننا بحاجة قبل ذلك إلى تحديد شخصية النجاشي المُرسل إليه و إلى هذا حصل نقاش طويل عريض بين أهل الأثر وأهل السِّير .

وحيث أن هذا الأمر من المفاصل المهمة لمن يريد البحث في مكاتبة النبي ﷺ للنجاشي قبل الولوج إلى دراسة نص الوثيقة، لذا قدمته هنا .

ولمعالجة هذا الأمر فسأتناوله تحت مطلبين اثنين :

---

(١) انظر مجموعة الوثائق السياسية لحميد الله ١٤١،١٣٧،١٠٨،١٠٢؛ والرَّقُّ: الذي يكتب فيه، وجمعه رُقوق، المُنجَّد في اللغة للأزدي ٢١٧ .

(٢) انظر بحث بعنوان: الدراسات المتعلقة برسائل النبي ﷺ إلى ملوك عصره د. عز الدين إبراهيم١٧-١٩ .

المطلب الأول

في تعيين شخصية النجاشي الذي كاتبه النبي ﷺ أهو أَصْحَمَةُ[١] بن أبْجُر الذي أسلم ونعاه النبي ﷺ يوم وفاته[٢]، أم غيره ؟

وبعد البحث وجمع ما قاله أهل الحديث وأهل السِّير في تعيين شخصية النجاشي الذي كاتبه النبي ﷺ ، يمكن إجمال قولهم على رأيين اثنين:

القول الأول : ذهبوا إلى أن النبي ﷺ كاتب اثنين من ملوك الحبشة[٣] :

الأول منهما : هو النجاشي أَصْحَمَةُ بن أبْجُر الذي أسلم حتى عده بعض أهل العلم من الصحابة[٤] وهو الذي هاجر إليه الصحابة في الحبشة الهجرتين الأولى والثانية فأكرمهم وآواهم وكانوا على خير حال بخير جار.

و أما الثاني منهما : فهو نجاشي آخر لا يعرف اسمه[٥] .

وذهب إلى هذا القول جملة من أهل التدقيق والنظر في الأحاديث والسِّير :

---

(١) قال العظيم آبادي في عون المعبود٩/٥:"قال النووي هو بفتح الهمزة وإسكان الصاد وفتح الحاء المهملتين وهذا الذي وقع في رواية مسلم هو الصواب المعروف فيه وهكذا هو في كتب الحديث والمغازي وغيرها "

(٢) رواه البخاري ٥١/٥: ك/ مناقب الأنصار، ب/ موت النجاشي ،ح(٣٨٧٧). من حديث جابرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي: " مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمَة " ومسلم٦٥٧/٢: ك/ الجنائز،ب/في التكبير على الجنازة، ح(٩٥٢). عنه أيضا: قال: قال رسول الله ﷺ : "مات اليوم عبد لله صالح أَصْحَمَة"، فقام فأمّنا، وصلى عليه.

(٣) ويلقب كل من ملك الحبشة بالنجاشي "قال العيني: النجَاشي بفتح النون وكسرها، كلمة للحبش تُسمى بها ملوكها" انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٣٧٠ ؛ تحفة الأحوذي ٧/ ٤١٤ .

(٤) قال الذهبي في السير ١/ ٤٢٨ "اسمه أَصْحَمَة ملك الحبشة معدود في الصحابة رضي الله عنهم، وكان ممن حسن إسلامه و لم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ، فصلى عليه بالناس صلاة الغائب" .

(٥) قيل في تعريفه : أنه هو الذي تولى الحبشة بعد موت النجاشي الأول وهذا ما أميل إليه ، وقيل : أنه من ملوك الحبشة في جهة أخرى، انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ١١/ ١٢٠؛ تاريخ الإسلام ٢/ ٥٠١ ؛ السيرة لابن كثير ٤٢،٤١/٢ ؛ مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٣٧١ .

منهم الإمام أبوالعباس القرطبي(١) (٢)، والإمام الذهبي(٣) (٤)، والإمام ابن كثير(٥) (٦)، وابن حجر(٧) (٨)، والعلامة محمد

(١) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي: فقيه مالكي، من رجال الحديث.
يعرف بابن المزين.ولد ٥٧٨هـ كان مدرسا بالإسكندرية وتوفي بها ٦٥٦هـ. ومولده بقرطبة. من كتبه (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم) شرح به كتابا من تصنيفه في اختصار مسلم . انظر : الأعلام للزركلي ١٨٦/١ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١١/ ١٢٠

(٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله:حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق. ولد عام ٦٧٣هـ وتوفي عام ٧٤٨هـ ، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها " دول الإسلام " جزآن، " المشتبه في الأسماء والأنساب، والكنى والألقاب " و " العباب " في التاريخ، و " تاريخ الإسلام الكبير – خ " ٣٦ مجلدا، و " سير النبلاء " وغيرها انظر: الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٦.

(٤) تاريخ الإسلام ٢/ ٥٠١

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي البصروي الشيخ عماد الدين المعروف بابن كثير صاحب التفسير والتاريخ. سمع على عيسى بن عبد الرحمن المطعم مسند الدارمي وعلى جماعة كثيرة، وأجاز له من مصر أبو الفتح الدبوسي وعلي بن الواني ويوسف الختني في آخرين، وقرأ على البرهان ابن الفركاح ثم تزوج ابنة المزي فلازمه وأكثر عنه وتخرج بابن تيمية،ومن مؤلفاته: التكميل وأحكام التنبيه، وطبقات الشافعية وغير ذلك، ومولده سنة إحدى وسبعمائة قال المقريزي وتوفي بدمشق في يوم الخميس سادس عشر شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة انظر :ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ١/ ٤٧١.

(٦) السيرة النبوية ٤١/٢-٤٢

(٧) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولد عام ٧٧٣هـ وتوفي عام ٨٥٢هـ، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاويّ: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) أربعة مجلدات، و (لسان الميزان –) ستة أجزاء و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) وغيرها . انظر الأعلام للزركلي ١٧٨/١ .

(٨) فتح الباري ٨/ ١٢٩

القسطلاني[١] [٢]، والعلامة محمد الزرقاني[٣] [٤]، والشيخ علي بن برهان الدين الحلبي[٥] الحلبي[٥] [٦]، والشيخ عبيد الله المباركفوري[٧] [٨]، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري[٩]، المباركفوري[٩]، والأستاذ الدكتور مهدي رزق الله[١٠].

---

(١) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. ولد عام ٨٥١ هـ وتوفي عام٩٢٣هـ له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) عشرة أجزاء. و (المواهب اللدنية في المنح المحمدية) في السيرة النبويّة . انظر الأعلام للزركلي ٢٣٢/١ .

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥٤٤،٥٤٥/١

(٣) هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله: خاتمة المحدثين بالديار المصرية. مولده ووفاته بالقاهرة، ولد عام ١٠٥٥هـ وتوفي عام ١١٢٢هـ ،ونسبته إلى زرقان (من قرى منوف بمصر) من كتبه (تلخيص المقاصد الحسنة) في الحديث، و (شرح البيقونية) في المصطلح، و (شرح المواهب اللدنية) وغيرها . انظر الأعلام للزركلي ١٨٤/٦ .

(٤) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ٢٥،٢٦/٥

(٥) هو علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من حلب، ومولده ووفاته بمصر. ولد عام ٩٧٥هـ وتوفي عام ١٠٤٤هـ، له تصانيف كثيرة، منها " إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون " يعرف بالسيرة الحلبية، و " زهر المزهر " اختصر به مزهر السيوطي، و" مطالع البدور " في قواعد العربية، وغيرها . انظر الأعلام للزركلي ٢٥١/٤ .

(٦) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ٢٩٤،٢٩٥/٣

(٧) هو عبيد الله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري، ولد عام ١٣٢٧هـ وتوفي عام ١٤١٤هـ ، عالم فقيه محدِّث ، تلقى علومه على كبار الأساتذة في الهند، وتخرج عام ١٣٤٥ هـ في المدرسة الرحمانية في دلهي وعُيِّن مدرساً فيها، واضطر أثناء استقلال الهند إلى ملازمة بيته والاشتغال بالتأليف والإفتاء نتيجة لضياع المدرسة الرحمانية، وهو قائد جماعة أهل الحديث في شبه القارة الهندية؛ ونظراً لمكانته العلمية عينته جمعية أهل المركزية بالهند مشرفاً أعلى ومستشاراً لها لسنوات طويلة. كما شغل منصب نائب رئيس هيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند.وله مؤلفات عديدة باللغتين العربية والأردية، على رأسها شرحه الضافي لمشكاة المصابيح: "مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح". انظر تكملة معجم المؤلفين ٣٦٨ .

(٨) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٣٧١ .

(٩) الرحيق المختوم ٣١٤ .

(١٠) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ١٩٠،١٩١ .

ومستندهم في هذا هو حديث أنس ﷺ : "أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى"، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ (١).

قال الإمام أبوالعباس القرطبي: " هذا تحرز من الراوي ؛ لئلا يظن أن النجاشي المسمى : أَصْحَمَة ؛ الذي هاجر إليه أصحاب رسول الله ﷺ هو هذا ، وليس كذلك ... إلى أن قال: وإنما النجاشي الذي كاتبه رسول الله ﷺ آخر غير هذا من ملوك الحبشة ، إنما في جهة أخرى ، أو بعد موت أَصْحَمَة . والله تعالى أعلم ."(٢)

وقال الإمام الذهبي: " وليس في هذا الحديث (أي حديث أنس المتقدم) أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي الثاني يدعوه إلى الله في هذه، بل ذلك مسكوت عنه، وإنما كان ذلك بعد موت النجاشي الأول المسلم، وموته كما سيأتي في سنة تسع، والله أعلم."(٣)

وقال الإمام ابن كثير: " وفى ذكره ها هنا نظر (يعني قوله "إلى النجاشي الأصحم")(٤)، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذى كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عزوجل قبيل الفتح، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي ... إلى أن قال: فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول وقوله فيه: " إلى النجاشي الأصحم " لعل " الأصحم " مقحم من الراوى بحسب ما فهم"(٥) ، ورجح قول ابن كثير هذا الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السِّيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية(٦).

---

(١) رواه مسلم ١٣٩٧/٣: ك/ الجهاد والسير، ب/ كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله تعالى ، ح(١٧٧٤).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١١/ ١٢٠ .

(٣) تاريخ الإسلام ٢/ ٥٠١ .

(٤) كما جاء في رواية ابن إسحاق عند البيهقي وستأتي عند ذكر الروايات في قريباً ، انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٠٨ .

(٥) السيرة النبوية ٤١،٤٢/٢ .

(٦) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ١٩٠،١٩١ .

وقال ابن حجر في الفتح:"وكاتب النجاشي الذي أسلم وصلى عليه لما مات ثم كاتب النجاشي الذي ولي بعده وكان كافرا ..ثم ساق حديث أنس ﷺ المتقدم"(١)

وقال القسطلاني :" وهذا هو أَصْحَمَة الذى هاجر إليه المسلمون فى رجب سنة خمس من النبوة، وكتب إليه النبى ﷺ كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام مع عمرو بن أمية الضمري ﷺ سنة ست من الهجرة، فآمن به وأسلم على يد جعفر بن أبى طالب ﷺ ، وتوفي في رجب سنة تسع من الهجرة ونعاه النبى ﷺ يوم توفى وصلى عليه بالمدينة، وأما النجاشى الذى ولى بعده، وكتب له النبى ﷺ يدعوه إلى الإسلام فكان كافرا، لم يعرف إسلامه ولا اسمه، وقد خلط بعضهم و لم يميز بينهما." (٢)

ووافقه الزرقاني في شرحه للمواهب اللدنية للقسطلاني(٣)، وابن طولون في الإعلام(٤) .

وقال الشيخ عبيد الله المباركفوري في شرحه لمشكاة المصابيح :" وأجاب أهل السِّير عن حديث أنس (المتقدم) بأنه وهم من بعض الرواة، أو أنه عبر ببعض ملوك الحبشة عن الملك الكبير، أو يحمل على أنه لما توفي قام مقامه آخر فكتب إليه أي في سنة تسع، وهذا هو الراجح. وحاصله أنه ﷺ كتب إلى النجاشي الذي صلى عليه وإلى النجاشي الذي تولى بعده على يد عمرو بن أمية أو غيره، فيكون هذه الكتابة متأخرة عن الكتابة لأَصْحَمَة الرجل الصالح الذي آمن به ﷺ ، وأكرم أصحابه، وصلى هو عليه، فلا مخالفة بين رواية أهل السِّير ورواية مسلم، فتأمل." (٥)

---

(١) فتح الباري ٨/ ١٢٩

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥٤٤/١،٥٤٥

(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ٢٥،٢٦/٥

(٤) إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون ٥٧

(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٣٧١

القول الثاني : ذهبوا إلى أن الذي كاتبه النبي ﷺ هو النجاشي الثاني – و لا يعرف اسمه – و لم يكاتب النبي ﷺ غيره ودعاه إلى الإسلام و لم يسلم ، وهذا اختاره ابن القيم(١) ونسبه إلى ابن حزم(٢) .

قال الإمام ابن القيم الجوزية: " وليس كما قال هؤلاء، فإن أَصْحَمَة النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ ليس هو الذي كتب إليه، هذا الثاني لا يعرف إسلامه، بخلاف الأول، فإنه مات مسلما. وقد روى مسلم في "صحيحه" – ثم ساق حديث أنس رضي الله عنه المتقدم – ثم قال :وقال أبو محمد بن حزم: إن هذا النجاشي الذي بعث إليه رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، لم يسلم، والأول هو اختيار ابن سعد وغيره، والظاهر قول ابن حزم ."(٣)

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين ولد عام ٦٩١هـ، من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. توفي عام ٧٥١هـ، وألّف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) . انظر: الأعلام للزركلي ٥٦/٦ .

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، قال الذهبي رحمه الله: "ولي أنا ميل إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفته به، وإن كنت لا أوافقه في كثير مما يقوله في الرجال والعلل، والمسائل البشعة في الأصول والفروع، وأقطع بخطئه في غير ما مسألة، ولكن لا أكفره، ولا أضلله، وأرجو له العفو والمسامحة وللمسلمي". له عدة مصنفات منها: 'الإيصال إلى فهم كتاب الخصال' و'الأحكام' و'المحلى' و'الفصل' ،توفي ليومين بقيا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة . انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠١/١٨، ٢٠٢؛ ووفيات الأعيان ٣٢٥/٣ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٢٠/١ .

وقال في موضع آخر : "قلت: وهذا وهم[١] والله أعلم وقد خلط راويه، ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه، وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه، فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي، وليس بالذي صلى عليه"[٢] .

القول الثالث : يرون أن الذي كاتبه االنبي ﷺ هو النجاشي المعروف والمشهور، واسمه أَصْحَمَةُ بن أبْجُر، الذي أسلم وهاجر إليه الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يكاتب أحدا غيره.

ولم أجد – على حسب علمي – من ذهب إلى هذا الرأي من المتقدين إلا ابن الأثير[٣] – في المفهوم من كلامه –، حيث لم ينقل من مكاتبة النبي ﷺ للنجاشي إلا مكاتبة واحدة وهي إلى أَصْحَمَة: فقد نقل عن الإمام أبي القاسم إسماعيل كتابة النبي إلى الملوك في السنة السابعة... إلى أن قال:" وبعث عمرو بن أمية الضمري بكتابة إلى النجاشي أَصْحَمَة بن بحر(كذا).. ثم ساق الكتاب"[٤] ، ومن المعاصرين الشيخ محمود الأرناؤوط[٥]، والأستاذ الدكتور سليمان بن حمد العودة[٦] مال إلى هذا الرأي .

---

(١) أي فيما جاء في رواية ابن إسحاق من ذكر جواب النجاشي لكتاب النبي ﷺ وفيه "من النجاشي أَصْحَمَة"

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٦٩٠، قلت : وإن كانت عبارة ابن القيم –رحمه الله – مشكلة إلا أنه نص على وجود نجاشيين اثنين، وكونه نص على أن الكتاب هو للثاني لا للأول لايعني نفيه لوجود كتاب آخر للأول، هذا مافهمته من مجمل سياقات ابن القيم لكتاب النبي ﷺ للنجاشي، والله أعلم .

(٣) هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، المؤرخ الإمام، ولد عام ٥٥٥هـ، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها عام ٦٣٠هـ، من تصانيفه " الكامل " اثنا عشر مجلدا، مرتب على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩ هـ أكثر من جاء بعده من المؤرخين عيال على كتابه هذا، و " أسد الغابة في معرفة الصحابة " خمس مجلدات كبيرة، مرتب على الحروف. انظر: الأعلام للزركلي ٤/٣٣١.

(٤) أسد الغابة ١/٧٦

(٥) حاشيته على إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون ٤٥

(٦) مرويات الهجرة ١٠٨-١١٠

ومستندهم في هذا هو نفس حديث أنس ﷺ المتقدم لكن يقولون أنه جاء عند مسلم أيضا من طريقين مختلفين عنه ﷺ أيضا بدون زيادة "وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ"(١) .

ويمكن الإجابة على هذا بأن هذه الزيادة احتج بها دون غيرها الإمام أبوعيسى الترمذي في سننه(٢) ،والإمام البغوي في شرح السنة(٣) وغيرهم ممن سبق ذكرهم عند أصحاب الرأي الأول .

ولعل الأقرب والله أعلم هو ماذهب إليه أصحاب القول الأول لقوة مستندهم، وسلامة تعليلهم، مع الإجابة على دليل المعارض، ولأنه رأيٌ ذهب إليه جماعة من أهل التدقيق والنظر في الأحاديث والسِّير، وما للباحث فُسحة أن يخرج عن رأيهم .

وبعد عرض النقاش الذي دار بين أصحاب الرأي من أهل الحديث والسير، ثم ما توصلت إليه من الترجيح بينها، ناسب الآن الانتقال إلى أساس البحث والذي هو محط الدراسة والرسالة ألا وهو التحقيق في نص الوثيقة المرسلة من النبي ﷺ للنجاشي أصْحَمَة .

*****

(١) رواه مسلم ٣/ ١٣٩٨: ك/ الجهاد والسير، ب/ كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله تعالى ، ح(١٧٧٤). الأولى من طريق محمد بن عبد الله الرازي ، والثانية من طريق نصر بن علي الجهضمي .

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٦٨: في أبواب الاستئذان والآداب ،ب/ في مكاتبة المشركين ، ح(٢٧١٦).

(٣) شرح السنة ١٢/ ٢٧٩ .

المطلب الثاني
أصح الطرق والأخبار التي وردت في بيان نص الوثيقة المرسلة من النبي ﷺ للنجاشي :

لعل أصح ما جاء في ذلك وتعددت مصادره في كثير من كتب الحديث والسيرة والتاريخ وكثر ناقلوه في هذا العصر خاصة بعد أن عُثر على أصل الرسالة في رَقٍّ جلدي قديم – وقد أرفقت صورة منه(١) – وبعد دراسة لما جاء في هذا الرَّق وجدت أنها مطابقة في أصلها للرواية التي رجحتُها، وأكثرَ من نقلها أهل الحديث والسيرة والتاريخ في كتبهم مع اختلاف يسير فيما بينها وبين بعض الروايات لا يعود إلى أصلها بالضعف .

وهذا نص الرسالة(٢) :

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي [عظيم(٣)] الحبشة [سلام على من اتبع الهدى(٤)] [أما بعد(٥)] فإني أحمد إليك الله [الذي لا إله إلا هو(٦)] الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول

---

(١) انظر: آخر الرسالة .

(٢) النص الذي أثبته من واقع الصورة التي لدي والتي قام بنشر صورة شمسية من هذا الرق بعد أن ظفر على أصله المستشرق دنلوب (براند كرك – استكوتلاندا) من تاجر سوري خلال زيارته لدمشق في أكتوبر عام ١٩٣٨م وقام دنلوب بنشر الصورة ضمن مقال له في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية والجمعية الجغرافية الوطنية (JRAS) الإنجليزية في شهر يناير سنة ١٩٤٠م وذكر أنه أخذه إلى انجلترا وعرضه على عدد من خبراء المتحف البريطاني والمستشرقين ، وقد أكد دنلوب شكه في صحة المخطوط، غير أنه أضاف أنه بمقارنةهذه الرسالة برسالة النبي ﷺ ظهر له تشابه ولا سيما في الختم، وقدأكد د.محمد الحلواني صحتها أيضاً بعد أن عثر على صورة من النسخة الأصلية للرسالة وعرضها على الخبراء والمختصين . انظر : مجموعة الوثائق السياسية لحميد الله٩٩-١٠٣؛ وبحث حول صحته لحميد الله في كتابه الحياة السياسية للرسول الأكرم باللغة الأردية؛ وعالمية الإسلام لطُويلة والحلواني ٩، ٩٨-١٠٦ .

(٣) وفي رواية الواقدي (ملك) وعند ابن إسحاق (الأصحم ملك) .

(٤) وفي رواية الواقدي (أسلم أنت) وعند ابن إسحاق (سلام عليك) .

(٥) خلت رواية الواقدي و ابن إسحاق منها .

(٦) خلت رواية ابن إسحاق منها .

[الطيبة الحصينة(١)] [فحملت بعيسى(٢)] من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده [..(٣)] وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني [وتوقن(٤)] [..(٥)] بالذي بالذي جاءني فإني رسول الله[..(٦)] وإني أدعوك وجنودك إلى الله [عز وجل(٧)] وقد بلغت بلغت ونصحت فاقبلو(كذا بدون ألف) نصيحتي والسلام على من اتبع(كذا بتائين) الهدى "
.

ورد أصل هذه الرسالة من طريقين **الأول:** من طريق الواقدي(٨) عند ابن سعد(٩)(١)

ابـــــــــــــــــــــــــــــــن ســـــــــــــــــــــــــــــــعد(٩)(١)

---

(١) خلت رواية الواقدي من (الطيبة الحصينة) وأثبتها ابن إسحاق .

(٢) وفي رواية الواقدي (فحملت به، فخلقه) وعند ابن إسحاق (فحملت بعيسى فخلقه) .

(٣) زاد ابن إسحاق (ونفخه) .

(٤) وفي رواية الواقدي وابن إسحاق (وتؤمن) .

(٥) زاد ابن إسحاق (بي و ..) .

(٦) زاد ابن إسحاق (وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين فإذا جاءوك فاقرهم ودع التجبر).

(٧) خلت رواية ابن إسحاق منها .

(٨) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة عام ١٣٠هـ وكان حناطا (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي فأفاض عليه عطاياه وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها عام ٢٠٧هـ قال الخطيب البغدادي: كان الواقدي كلما ذكرت له وقعة ذهب إلى مكانها فعاينه،وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد (صاحب كتاب الطبقات الكبير)، من كتبه (المغازي النبويّة) و (فتح إفريقية) و (فتح العجم) وغيرها انظر الأعلام للزركلي ٣١١/٦ .

(٩) هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الزهري البصري كاتب الواقدي؛ كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء، صحب الواقدي زمانا وكتب له فعرف به، وصنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وله طبقات أخرى صغرى، وكان صدوقا ثقة، ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس: أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتبة ، وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة ثلاثين ومائتين ببغداد. ودفن في مقبرة باب الشام، وهو ابن اثنتين وستين سنة .انظر: وفيات الأعيان ٣٥٢/٤،٣٥١ .

والزيلعي[٢] [٣] وابن القيم[٤] وابن سيد الناس[٥] [٦] وابن طولون[٧] [٨] وأبي الربيع الأندلسي[٩] [١٠] وابن برهان الحلبي[١١] وابن عفيفي

---

(١) الطبقات الكبرى ١/ ٢٥٨،٢٥٩

(٢) هو عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أبو محمد، جمال الدين: فقيه، عالم بالحديث. أصله من الزيلع (في الصومال) ووفاته في القاهرة عام ٧٦٢هـ، من كتبه " نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية " في مذهب الحنفية، و" تخريج أحاديث الكشاف ". وهو غير الزيلعي " عثمان " شارح الكنز " واسم الكتاب "تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق" . انظر :الأعلام للزركلي ٤/ ١٤٧ .

(٣) نصب الراية٤/٤٢١ .

(٤) هداية الحيارى١/٣٤ ؛ زاد المعاد٣/٦٨٩ .

(٥) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سَيِّد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، ولد عام ٦٧١هـ، مؤرخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحديث، له شعر رقيق. أصله من إشبيلية، مولده ووفاته في القاهرة عام ٧٣٤هـ. من تصانيفه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) جزآن ومختصره (نور العيون) . انظر :الأعلام للزركلي ٧/٣٤ .

(٦) عيون الأثر٢/٣٢٩ .

(٧) هو محمد بن علي بن أحمد (المدعو محمد) ابن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقيّ الصالحي الحنفي، شمس الدين ولد عام ٨٨٠هت، مؤرخ، عالم بالتراجم والفقه. من أهل الصالحية بدمشق، ونسبته إليها. قال الغزي: كانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة، وله مشاركة في سائر العلوم حتى في التعبير والطب. وله نظم، وليس بشاعر. كتب بخطه كثيرا من الكتب وعلّق ستين جزءا سماها (التعليقات) أكثرها من جمعه وبعضها لغيره. ولم يتزوج ولم يعقب، توفي عام ٩٥٣هـ. من كتبه (إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين) انظر :الأعلام للزركلي ٦/٢٩١ .

(٨) إعلام السائلين لابن طولون ٥٠،٥١ .

(٩) هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع ،ولد عام ٥٦٥هـ، محدّث الأندلس وبليغها في عصره. من أهل بلنسية، ولي قضاءها، وحمدت سيرته. قال النباهي: (وكان هو المتكلم عن الملوك في مجالسهم، والمبيّن عنهم لما يريدونه، على المنبر في المحافل) له شعر رقيق أكثره في الوصف، وكان فردا في الإنشاء. توفي عام ٦٣٤هـ، وصنف كتبا، منها (الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفاء) ، انظر :الأعلام للزركلي ٣/١٣٦ .

(١٠) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ٢/٣١١

(١١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ٣/٢٩٣

الخضري[١] [٢].

الثاني : من طريق ابن إسحاق[٣] فجاءت عند الطبري[٤] [٥] وابن حبان[٦] [١] [١]

---

(١) هو محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، ولد عام١٢٨٩هـ، باحث، خطيب، من العلماء بالشريعة والأدب وتاريخ الإسلام. مصري، كانت إقامته في (الزيتون) من ضواحي القاهرة، وتوفي ودفن بالقاهرة عام١٣٤٥هـ، تخرج بمدرسة دار العلوم، وعين قاضيا شرعيا في الخرطوم، ثم مدرسا في مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة، مدة ١٢ سنة، وأستاذا للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية، فوكيلا لمدرسة القضاء الشرعي، فمفتشا بوزارة المعارف. من كتبه (أصول الفقه) و (تاريخ التشريع الإسلامي) و(نور اليقين في سيرة سيد المرسلين). انظر الإعلام للزركلي ٦/٢٦٩.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ١٤٦ .

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة. قال ابن حبان: "لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار" ، وكان من حفاظ الحديث واختلف أهل الحديث في عدالته : ولقد ساق ابن سيد الناس والخطيب البغدادي جميع الأقوال فيه تقريبا جرحا وتعديلا ثم فنداها وجنحا إلى توثيقه . له مصنفات عدة من أشهرها (السيرة النبويّة) هذبها ابن هشام. زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيها عام ١٥١هـ ، انظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٢٨؛ والسيرة النبوية لمهدي رزق الله٢٣-٢٥.

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان عام ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها عام ٣١٠هـ، عرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: "أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق"، وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. له (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا، و (جامع البيان في تفسير القرآن – ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزء وغير ذلك.. انظر الإعلام للزركلي ٦/٦٩.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٢/١٣٢،١٣١ .

(٦) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حِبّان: مؤرخ، علّامة، جغرافي، محدث. ولد في بست (من بلاد سجستان) وتنقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة. وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، ومنها إلى بلده، حيث توفي في عشر الثمانين من عمره عام ٣٥٤هـ. وهو أحد المكثرين من التصنيف، منها (المسند الصحيح) في الحديث، و (روضة العقلاء) في الأدب، و (الثقات) جزآن منه . انظر :الأعلام للزركلي ٦/٧٨ .

والبيهقي(٢) (٣) ، وابن الجوزي(٤) (٥) ، وابن الأثير(٦) ، وابن كثير(٧) ، وابن خلدون(٨) (٩) ، والقلقشندي(١٠) (١١)

---

(١) الثقات ٨،٩/٢ .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) عام٣٨٤هـ، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. قال إمام الحرمين:" ما من شافعيّ إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فان له المنة والفضل على الشافعيّ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آرائه". توفي عام ٤٥٨هـ، صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى – ط) عشر مجلدات، و (السنن الصغرى) و (المعارف) و (ودلائل النبوة) وغيرها . انظر :الأعلام للزركلي ١١٦/١ .

(٣) دلائل النبوة ٣٠٩/٢ .

(٤) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ولد عام ٥٠٨هـ وتوفي عام ٥٩٧هـ، ونسبته لابن الجوزي إلى (مشرعة الجوز) من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (الأذكياء وأخبارهم) و (مناقب عمر بن عبد العزيز) و (روح الأرواح) و (شذور العقود في تاريخ العهود – خ) و (المدهش – ط) في المواعظ وغرائب الأخبار وغيرها . انظر :الأعلام للزركلي ٣١٦/٣ .

(٥) تنوير الغبش في فضل السودان والحبش ١٠٥ .

(٦) أسد الغابة ٣٨/١ .

(٧) السيرة النبوية ٤٢/٢ .

(٨) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. ولد فيها عام ٧٣٢هـ ،رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة عام ٨٠٨هـ، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. انظر :الأعلام للزركلي ٢٣٠/٣.

(٩) تاريخ ابن خلدون ٣٦،٣٧/٢ .

(١٠) هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ القلقشندي ثم القاهري: المؤرخ الأديب البحاثة. ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشندة) عام ٧٥٦هـ، ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة عام ٨٢١هـ، وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء. أفضل تصانيفه (صبح الأعشى في قوانين الإنشا) أربعة عشر مجلدا، في فنون كثيرة من التاريخ والأدب ووصف البلدان والممالك اختصره في (ضوء الصبح المسفر) ، وله (حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم) وغيرها . انظر : الأعلام للزركلي ١٧٧/١ .

(١١) صبح الأعشى ٣٦٤،٣٦٥/٦ .

والقسطلاني[١] ، والزرقاني[٢] وغيرهم كثير.

كل أولئك العلماء استشهدوا في كتبهم بهذه الرسالة وما ذاك إلا لاطمئنانهم إلى صحتها، وما كان اعتمادي – بعد الله – على هؤلاء العلماء دون غيرهم في تصحيح هذه الرسالة، إلا لأنهم ممن برزوا في علم الحديث والسِّير فجمعوا بينهما علماً ودراية ، وهذا ماجعل لكتبهم الصدارة والمرجعية في السِّيرة والشمائل .

وهناك من المعاصرين من أورد هذه الرسالة بصيغة الجزم والقبول كمحمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية[٣] ، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم وقال عندما أورد نص الرسالة التي اعتمدها :" أما صحة هذا النص فلاشك فيها بعد النظر في الدلائل"[٤]، والأستاذ الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السِّيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية[٥] الذي أخذ على نفسه فيه الاعتماد على المرويات الصحيحة .

ولقد جاءت رواية أخرى عند ابن إسحاق أيضا نقلها عنه البيهقي قال: "هذا كتاب من النبي محمد إلى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك"[٦] لكن هذه الرواية جزم

---

(١) المواهب اللدنية ١/٥٤٣ .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٥/٢١،٢٠ .

(٣) مجموعة الوثائق السياسية ٩٩-١٠٣ وقد بذل الدكتور في تحقيق ذلك النص جهداً بليغاً، واستعان في ذلك كثيراً باكتشافات العصر الحديث، وأورد صورته في الكتاب وهو ما أرفقت صورة منه.

(٤) الرحيق المختوم ٣١٤ .

(٥) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ٤٩٥ .

(٦) سيرة ابن إسحاق٢١٠؛ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٠٨ .

ابن كثير أنها ليست للنجاشي المسلم – هذا على فرض صحتها[١] – وذلك بقوله تعليقا على هذه الرواية : " وفى ذكره ها هنا نظر (يعني قوله "إلى النجاشي الأصحم")، فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذى كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عزوجل قبيل الفتح، كما كتب إلى هرقل عظيم الروم قيصر الشام، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى صاحب مصر، وإلى النجاشي ... إلى أن قال: فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول وقوله فيه: " إلى النجاشي الأصحم " لعل " الأصحم " مقحم من الراوى بحسب ما فهم"[٢] ، ورجح قول ابن كثير هذا الأستاذ الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السِّيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية[٣] .

ثم قال ابن كثير أيضا:" وأنسب من هذا ها هنا ما ذكره البيهقى أيضا ..."[٤]، وساق بسنده رواية ابن إسحاق الأولى التي اعتمدها، فقوله:"أنسب" كأنه يوهن رواية ابن إسحاق الثانية، ثم إني لم أجد من نقل هذه الرواية عن ابن إسحاق إلا البيهقي وحده .

وبمجمل ما سبق صَفحت النظر عن رواية ابن إسحاق الثانية واخترت الأولى منها و ما جاء عن الواقدي أيضا سالكا سبيل الجمع بينهما وأن كل واحدة تعضد الأخرى وعليهما المعتمد بعون الله والله أعلم بالصواب .

*****

(١) وذلك من جهتين قال د. سليمان العودة:" بضعف إسناد الرواية من جهة، فقد ذكرها ابن إسحاق دون إسناد ومن جهة أخرى فالرواية محتملة للتأويل" مرويات الهجرة ١٠٩ .

(٢) السيرة النبوية ٢/٤١،٤٢ .

(٣) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ١٩١،١٩٠ .

(٤) السيرة النبوية ٢/٤٢ .

المبحث الثالث

الموقف من الرسالة

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : حال الحبشة قبل إرسال الرسالة

وذلك من خلال الوقوف على أربعة فروع :

الفرع الأول :نبذة عامة عن أرض الحبشة :

أصل الحبشة كما في اللغة مأخوذ من "الحَبَش و الحَبَش: جنس من السودان، وهم الأحْبُش والحُبْشان مثل حمل وحُمْلان والحبيش ... وفي الحديث:"أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا" أي أطيعوا صاحب الأمر وإن كان عبدا حبشيا، فحذف كان وهي مرادة.

والأُحبوش: جماعة الحبش.. وقيل: هم الجماعة أيا كانوا لأنهم إذا تجمعوا اسودُّوا، وفي حديث خاتم النبي ﷺ:"فيه فص حبشي"، قال ابن الأثير: يحتمل أنه أراد من الجِزْع أو العقيق لأن معدنهما اليمن والحبشة أو نوعا آخر ينسب إليها.

والأحابيش: أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام .. سموا بذلك لاسودادهم..، فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قبل تجمعها صار التحبيش في الكلام كالتجميع "(١).

قال ابن حجر:"وأرض الحبشة بالجانب الغربي من بلاد اليمن ومسافتها طويلة جدا، وهم أجناس وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة، وكان في القديم يلقب بالنجاشي وأما اليوم فيقال له الحَطِي بفتح المهملة وكسر الطاء المهملة الخفيفة بعدها تحتانية خفيفة، ويقال إنهم من ولد حبش بن كوش بن حام"(٢) .

---

(١) لسان العرب، ب/ الشين، ف/ الحاء ، مادة(حبش) ٦/ ٢٧٨ .

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح ٧/١٩٠،١٩١ .

جاء ذلك في حديث سمرة بن جندب ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: "سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش"(١) .

وفي العصر الحاضر:

يرى بعض الباحثين المعاصرين أن الحبشة هي البلد المعروف في أفريقية ويسمى اليوم أثيوبية أو أثيوبيا، وهي تضم أراضي إسلامية إلى جانب أرضهم ، وعاصمتها أديس أبابا .

وقد تحولت أثيوبيا منذ سنوات إلى جمهورية وطرد النجاشي ومن هذه الإمبراطورية أقاليم أصبحت عربية ، مثل : أريتريا ، وهي أرض تلي البحر الأحمر تبدأ من مضيق باب المندب جنوبا إلى جنوب « طوكر » في السودان .

ومن مدن هذا الإقليم : أسمرة : (العاصمة) ومصوع : الميناء الرئيسي ، وكانت تسمى باضع ، وإليها هاجر الصحابة في هجرة الحبشة ، وعصب : ميناء في آخر الجنوب قرب عدول من أرض الدناكل .

وهذا الإقليم – لو تحرر واستقل – حجب الأحباش عن البحر الأحمر نهائيا ، وهذا من أهم الأسباب التي تجعلهم يتمسكون بأريتريا وقد أصبحت مشكلة أريتريا من المشاكل العربية الحادة تأتي بعد مشكلة فلسطين .

ومن الأقاليم المطالب بها من الإمبراطورية : إقليم أوجادين أو الصومال الغربي الذي تطالب به الصومال ، ومن أهم مقاطعاته مدينة « هرر » المشهورة بإنتاج البن الهرري . وهذا الإقليم كثير المحاصيل ، والأحباش يتمسكون به بشدة ويقاتلون دونه بضراوة ، ولا يقبلون فيه ولا في أريتريا مفاوضات ، وتقع « هرر » في الهضبة المرتفعة غرب باب المندب .(٢)

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ٧٢٥ : في أبواب المناقب ،ب/ في فضل العرب ،ح(٣٩٣١) وقال: هذا حديث حسن ، والإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٠ : ح(٢٠١٢٦) وعلق عليه شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف .

(٢) انظر :المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية لعاتق الحربي ٩١،٩٢؛ ومرويات الهجرة ٤؛ و إسلام نجاشي الحبشة د. سامية منسي ٩،١٠.

الفرع الثاني: ديانة أهل الحبشة:

الحبشة يدينون أهلها بالنصرانية كما قرر ذلك السهيلي[١] وغيره أنهم كانوا نصارى يعبدون المسيح ولا يقولون هو عبد الله[٢]، بل ويشمل ابن تيمية[٣] بالنصرانية النجاشي أصْحَمَة – قبل أن يسلم – وقومه يقول:" وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه "[٤]، "غير أن الإسلام زحف على بلادهم من زمن بعيد فأسلمت أطرافها من كل اتجاه ، وبقيت الهضبة حول أديس أبابا متمسكة بشدة بالنصرانية ولا زال الإسلام يتكاثر في العاصمة نفسها ، والإسلام هناك ليس مفروضا بالقوة ، إنما هو ينتشر بالدعوة الفردية وبالاحتكاك والجوار"[٥] .

الفرع الثالث: قصة تملك النجاشي أصْحَمَة للحبشة:

إن لذلك قصة ترويها لنا الصدِّيقة عائشة – رضي الله عنها– كما عند ابن إسحاق: عن الزهري، قال:

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير،ولد في مالقة عام ٥٠٨هـ وعمي وعمره ١٧ سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها عام ٥٨١هـ، و نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) من كتبه (الروض الأنف) في شرح السيرة النبويّة لابن هشام، و (تفسير سورة يوسف) وغيرها، انظر الأعلام للزركلي ٣١٣/٣ .

(٢) الروض الأنف للسهيلي ١٥٠/٣ .

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران عام٦٦١هـ وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق عام ٧٢٨هـ ، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها (الفتاوى) ، و(الإيمان) و(منهاج السنة) وغيرها . انظر الأعلام للزركلي ١٤٤/١.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩/ ٢١٧

(٥) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ٩١ .

"حدثتُ عروة بن الزبير بحديث أبي بكر بن عبد الرحمن، عن أم سلمة بقصة النجاشي، وقوله لعمرو بن العاص:

فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، وما أطاع الناس في، فأطيع الناس فيه.

فقال عروة: أتدري ما معناه؟

قلت: لا

قال: إن عائشة حدثتني: أن أباه كان ملك قومه، و لم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة.

فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي، وملكنا أخاه، فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه اثني عشرة ولدا، فتوارثوا ملكه من بعده، فبقيت الحبشة بعده دهرا.

فعدوا على أبي النجاشي، فقتلوه، وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك، ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبا حازما من الرجال، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة.

فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت بينها:

والله إنا لنتخوف أن يملكه، ولئن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمه، فقالوا له:

إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفنا على أنفسنا منه.

قال: ويلكم، قتلتم أباه بالأمس، وأقتله اليوم، بل أخرجوه من بلادكم.

فخرجوا به، فباعوه من رجل تاجر بست مائة درهم، ثم قذفه في سفينة، فانطلق به حتى إذا المساء من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحاب الخريف، فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة، فقتلته.

ففزعت الحبشة إلى ولده، فإذا هم حمقى، ليس في ولده خير، فمرج على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك، قال بعضهم لبعض:

تعلمون -والله- أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره، الذي بعتموه غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه.

قال: فخرجوا في طلبه، حتى أدركوه، فأخذوه من التاجر، ثم جاؤوا به، فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك، وملكوه، فجاءهم التاجر، فقال:

إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلمه في ذلك.

فقالوا: لا نعطيك شيئا.

قال: إذن -والله- لأكلمنه.

قالوا: فدونك.

فجاءه، فجلس بين يديه، فقال:

أيها الملك! ابتعت غلاما من قوم بالسوق بست مائة درهم، فأسلموه إلي، وأخذوا دراهمي حتى إذا سرت بغلامي أدركوني، فأخذوا غلامي، ومنعوني دراهمي.

فقال لهم النجاشي: لتعطنه دراهمه، أو ليسلمن غلامه في يديه، فليذهبن به حيث يشاء.

قالوا: بل نعطيه دراهمه.

قالت: فلذلك يقول: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

ثم قالت: لما مات النجاشي، كنا نتحدث أنه لا يزال يُرى على قبره نور"(١) .

الفرع الرابع :علاقة الحبشة بالجزيرة العربية :

من المعروف أن العلاقات بين العرب والأحباش تعود إلى عصور قديمة سابقة على الإسلام ، بل إن سكان الحبشة تكونوا نتيجة هجرات سامية وفدت من شبه الجزيرة العربية إلى تلك البلاد في عصور ماقبل الميلاد ، لذا فإن للحبشة أهمية تاريخية واقتصادية كبيرة لدى عرب الجزيرة سواء كان ذلك في عهد الرسول ﷺ أو قبله بكثير ، ولقد كانت بلاد الحجاز يشقها شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية وذلك كونها تربط بين بلاد الشام وبين

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤١٩/١، ٤٢٠؛ و الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٢٩/١، ٤٣٠، وقال المحققان: رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق، على أن الذهبي ذكر في كتابه تاريخ الإسلام ٥٨٠/١:" أن أبا النجاشي ملك الحبشي مات والنجاشي صبي، فأوصى إلى أخيه أن إليك ملك قومك حتى يبلغ ابني، فإذا بلغ فله الملك، فرغب أخوه في الملك، فباع النجاشي لتاجر وبادر بإخراجه إلى السفينة، فأخذ الله عمه قعصاً فمات.."

اليمن والحبشة، لذا كانوا قريش أهل تجارة حتى اشتهرت عندهم الرحلات التجارية مرتين في العام في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى، ولأهميتها ذكرها الله في كتابه وفي سورة سميت باسمهم تذكيرا بنعمة الله عليهم لكنهم كفروا وجحدوا نعمة الله .

ثم إن قريشا لما اضطهدت القلة المسلمة في زمن البعثة النبوية وبالتحديد السنة الخامسة وضاق بالمسلمين الأمر حتى زلزلوا زلزالا شديدا من التعذيب والنكال الذي حل بهم من طغاة قريش الفجرة، أذن النبي ﷺ بالهجرة والنفير بالدين لمن تأذى من أصحابه وليس له غلبة من قومه .

فقال لهم رسول الله ﷺ :"إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه .."(١) ، وهذا إن دل فإنما يدل على علم النبي ﷺ السابق بأرض الحبشة وملكها العادل، وعلى وجود علاقة وطيدة وقديمة بين أرض الحبشة والحجاز حتى كانت الأخبار يتناقلونها فيما بينهم ، ولقد حدى ببعض المصادر – من شهرة ملك تلك البلاد بالعدل – إلى الإشارة أن عدل النجاشي بلغ حداً تحتكم إليه قريش في خصومة زعمائها(٢).

*****

(١) رواه ابن إسحاق كما عند البيهقي في الدلائل ٢٨٥/٢، من طريق موسى بن عقبة ولم يسم من حدثه، وساق الذهبي في تاريخ الإسلام ٥٧٦/١ الخبر بسند حكم له بالصحة، وانظر إلى: القصيمية دراسة نقدية لنصوص السيرة النبوية، محمد الصويان، ٤١٩/١.

(٢) البلاذري، الأنساب ٧٣/١ نقلا عن مرويات الهجرة ٣٠ .

المطلب الثاني
موقف النجاشي من رسالة النبي ﷺ

مدخل :

وحتى نفهم موقف النجاشي من الرسالة ونتصوره تصورا سليما، لابد أن أذكر ما جاء في الروايات التاريخية من أحداث والتي حدثت وقائعها قبل إرسال النبي ﷺ مبعوثه الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي أَصْحَمَة، وإنّ اجتزاء حلقة واحدة من التاريخ تؤدي بنا إلى قصورٍ في تصور الحقيقة وتقييم المواقف .

ولعل أشهر من حدثنا عن النجاشي بسند قوي وممن عاش أحداثها وحفظ وقائعها هي أم سلمة -رضي الله عنها- في حديثها المشهور، حيث تروي ذلك بلسانها .

جاء في المسند لأحمد بن حنبل : حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت:

لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله -تعالى- لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه.

فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم.

فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما:

ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا له هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا، فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته، وقالا له:

إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم، ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهم: نعم.

ثم إنهما قربا هدايا النجاشي، فقبلها منهم، ثم كلماه، فقالا له:

أيها الملك! إنه ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم فيه.

قالت: و لم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمرو من أن يسمع النجاشي كلامهم.

فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك، فأسلمهم إليهما.

فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله، إذا لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قوما جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم، فأسألهم.

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله، فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض:

ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول –والله– ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنا في ذلك ما كان.

فلما جاؤوه وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال:

ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، و لم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له:

أيها الملك! إنا كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع

ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام.

قالت: فعدد له أمور الإسلام.

فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه، فعدا علينا قومنا، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قال: نعم.

قال: فاقرأه علي.

فقرأ عليه صدرا من: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، فبكى -والله- النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا، ولا أكاد.

فلما خرجا، قال عمرو: والله لأنبئنه غدا عيبهم، ثم أستأصل خضراءهم.

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا:

لا تفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى عبد.

ثم غدا عليه، فقال: أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه.

فأرسل يسألهم.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قالوا:

نقول -والله- فيه ما قال الله -تعالى- كائنا ما كان.

فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى؟

فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عودا، ثم قال:

ما عدا عيسى ما قلت هذا العود.

فتناخرت بطارقته حوله، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرى ذهبا، وأني آذيت رجلا منكم - والدبر بلسانهم: الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في، فأطيعهم فيه.

فخرجا مقبوحين، مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

فوالله إنا على ذلك، إذ نزل به -يعني: من ينازعه في ملكه- فوالله ما علمنا حربا قط كان أشد من حرب حربناه، تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

وسار النجاشي، وبينهما عرض النيل.

فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟

فقال الزبير: أنا.

وكان من أحدث القوم سنا، فنفخوا له قربة، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى مكان الملتقى، وحضر.

فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، واستوسق له أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة"(١) .

---

(١) قال محقق سير أعلام النبلاء شعيب الأرناؤوط :" إسناده قوي، وأخرجه أحمد ١ / ٢٠١ و ٥ / ٢٩٠، وابن هشام ١ / ٣٣٤ - ٣٣٨" وذكره الهيثمي في المجمع ٦ / ٢٤ - ٢٧ وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع"، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٣ / ٧٢ - ٧٥ بأطول من هذا ؛ وانظر سير أعلام النبلاء١/٤٣٠-٤٣٤

وبعد سرد هذا الخبر فهل يمكن لنا أن نجزم بإسلام النجاشي أصْحَمَة على يد جعفر بن أبي طالب ﷺ أم على يد عمرو بن أمية الضمري ﷺ ؟.

وسأجيب عن هذا التساؤل من خلال فرعين اثنين :

الفرع الأول : تحديد وقت إسلام النجاشي:

في الحقيقة هذه مسألة شائكة وهي تحديد وقت إسلام النجاشي أصْحَمَة ﷺ وإن كنا نقطع بأنه مات مسلما فإننا لا نستطيع أن نجزم بوقت إسلامه! وعلى يد مَن أيضا !؟ .

ولكن يمكن القول بأن رواية أم سلمة رضي الله عنها وإن كانت لم تُصرح بإسلام النجاشي – وإن فهم ذلك فهماً– ، فإن رواية أبي موسى – وهي الأخرى – تُصرح بذلك، فقد جاء فيها قول النجاشي: "أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه"(١) .

وتتفق معها أيضا رواية ابن مسعود كذلك، وفيها قال النجاشي: " أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه الذي نجده في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم انزلوا حيث شئتم، فوالله لو ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه"(٢) .

ولعل مما يرجح إسلام النجاشي في هذا الوقت أن الحبشة بعد تلك القصة مَرج أمرها وخرجوا عليه ساخطين فقالوا له :إنك فارقت ديننا.

فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم.

ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن.

---

(١) المستدرك ٣١٠/٢؛ ومجمع الزوائد ٣١/٦ ، قال الهيثمي :"رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح" .

(٢) مجمع الزوائد ٢٤/٦، قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه خديج بن معاوية وثقة أبو حاتم، وقال في بعض حديثه ضعف، وضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات.

وخرج إلى الحبشة وصفوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألست أحق الناس بكم ؟ قالوا: بلى.

قال: فكيف أنتم بسيرتي فيكم ؟ قالوا: خير سيرة.

قال: فما بكم ؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبده ورسوله.

قال: فما تقولون أنتم في عيسى ؟ قالوا: نقول هو ابن الله.

فقال النجاشي، ووضع يده على صدره على قبائه: وهو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا .

وإنما يعنى ما كتب – وفي التعريض مندوحة عن الكذب – فرضوا وانصرفوا.

فبلغ رسول الله ﷺ ، فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له(١).

لكن الذي يظهر كما في القصة وغيرها من الأدلة والقرائن أن النجاشي كتم إسلامه و لم يعلنه بل جارى قومه ظاهرا ، ولهذا أصبح أمر إسلام النجاشي سرا لم يشتهر في ذلك العصر حتى عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم في المدينة حتى قال بعضهم يوم صلى عليه الرسول ﷺ :(صلى على عِلج من الحبشة) ، فنزلت: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [آل عمران ١٩٩] (٢)، ولولا صلاة النبي ﷺ عليه لما جزمنا بإسلامه .

وهذا الذي صار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية عليه –رحمه الله– في كلام نفيس ومن إمام محقق، أنقله بنصه :

---

(١) السيرة لابن هشام ٤٢١/١؛ والسيرة لابن كثير ٢٨،٢٩/٢ من رواية زياد عن محمد بن إسحاق قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه ،قال د. مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية١٩٢: "بإسناد صحيح لكنه مرسل ويشهد له روايات البخاري الفتح ٢٤٧/٦،ح١٣٣٣وغيره"؛ والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ٤٦٥/٢، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ٣٠٥ ؛ والاكتفاء للأندلسي ١/ ١٨٩.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨٨/٣:"رواه ابن أبي حاتم في التفسيرمن طريق ثابت؛ والدار قطني في الأفراد؛ والبزار من طريق حميد" ؛ وقال ابن تيمية في الفتاوى ١٩/ ٢٢٣: "هذا منقول عن جابر وأنس بن مالك وابن عباس وهم من الصحابة الذين باشروا الصلاة على النجاشي"

حيث يقول في معرض حديثه عن أعذار أهل الإسلام:

"وكذلك الكفار : من بلغه دعوة النبي ﷺ في دار الكفر وعلم أنه رسول الله فآمن به وآمن بما أنزل عليه ؛ واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره و لم تمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ولا التزام جميع شرائع الإسلام ؛ لكونه ممنوعا من الهجرة وممنوعا من إظهار دينه وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام : فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون وكما كانت امرأة فرعون بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر ؛ فإنهم كانوا كفارا و لم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام ؛ فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه قال تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ [غافر ٣٤] .

وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام بل إنما دخل معه نفر منهم ؛ ولهذا لما مات لم يكن هناك أحد يصلي عليه فصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة خرج بالمسلمين إلى المصلى فصفهم صفوفا وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات وقال : " إن أخا لكم صالحا من أهل الحبشة مات" وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك فلم يهاجر و لم يجاهد ولا حج البيت بل قد روي أنه لم يصل الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤد الزكاة الشرعية ؛ لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه وهو لا يمكنه مخالفتهم . ونحن نعلم قطعا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله إليه وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه .

وهذا مثل الحكم في الزنا للمحصن بحد الرجم وفي الديات بالعدل ؛ والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع النفس بالنفس والعين بالعين وغير ذلك . والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن ؛ فإن قومه لا يقرونه على ذلك وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا بل وإماما وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك بل هناك من يمنعه ذلك ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وعمر بن عبد العزيز عودي

وأوذي على بعض ما أقامه من العدل وقيل : إنه سم على ذلك . فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها .

ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ .

وهذه الآية قد قال طائفة من السلف : إنها نزلت في النجاشي ويروى هذا عن جابر وابن عباس وأنس . ومنهم من قال : فيه وفي أصحابه ؛ كما قال الحسن وقتادة . وهذا مراد الصحابة ولكن هو المطاع فإن لفظ الآية لفظ الجمع لم يرد بها واحد .. ثم ينتهي ابن تيمية إلى الحكم بالإيمان للنجاشي فيقول: من هو في أرض الكفر يكون مؤمنا يُصلى عليه كالنجاشي"(١) انتهى كلامه .

قال الخطابي(٢): " النجاشي رجل مسلم قد آمن برسول الله وصدقه على ثبوته إلا أنه كان يكتم إيمانه"(٣).

ولقد نقل ابن كثير عن بعض العلماء – ولم يسمهم – إنما صلى عليه لكونه يكتم إيمانه من قومه(٤).

بل عدّه الذهبي من الصحابة فقال :"معدود في الصحابة رضي الله عنهم وكان ممن حسن إسلامه، ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعي من وجه، صاحب من وجه"(٥)

---

(١) الفتاوى ١٩/ ٢١٧- ٢٢٣.

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان ولد سنة ٣١٩هـ، فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) له (معالم السنن) مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و (بيان إعجاز القرآن) و (إصلاح غلط المحدثين) باسم (إصلاح خطأ المحدثين) و(غريب الحديث) وغيرها. توفي في بست عام ٣٨٨هـ (في رباط على شاطئ هيرمند) .انظر : الأعلام للزركلي ٢٧٣/٢.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢١/٨ .

(٤) البداية والنهاية ٨٥/٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٢٨/١ .

ولأجل ما أحاط إسلام النجاشي من ملابسات بسبب كتمانه – والله أعلم – راسله النبي ﷺ وبعث إليه مبعوثه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إما ليستوثق من خبر إسلامه ، وإما لأجل أن يعلنه بين قومه(١).

الفرع الثاني : جواب النجاشي على رسالة النبي ﷺ :

لقد كان جواب النجاشي على الرسالة ما جائت به المرويات التاريخية الصحيحة جوابا رفيعاً بموضوعه، متأدباً بأسلوبه، متخلقا بخلق أتباع الأنبياء، فيروي لنا ابن سعد في الطبقات، يقول :"فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع ، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم ، فكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعا ، ثم أسلم وشهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لله رب العالمين ، وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.."(٢)

وهذا نص كتاب النجاشي للنبي ﷺ ، جاءت من رواية ابن إسحاق:

أن النجاشي كتب إلى رسول الله :

"بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي [الأصحم بن أبجر](٣) سلام عليك يا نبي الله ،من الله ،ورحمة الله وبركاته لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض إن عيسى

---

(١) قوى هذا الاحتمال الثاني واختاره الحلبي في سيرته ٤٦٥/٢ ؛ و د.العودة في مرويات الهجرة١١٠، ولكني أميل إلى أن هدفها فقط هو الدعوة إلى الله وإلى الإسلام – سواء سبق له إسلام أم لا–كما أطبقت عليه الصحاح والسنن والمسانيد فهذا الذي يمكن الجزم به ، و أما غيرها فمحمولة على الظن .

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٥٨،٢٥٩.

(٣) رواية الواقدي :أَصْحَمَة النجاشي، نصب الراية ٤٢١/٤

ما يزيد على ما ذكرت (ثُفْروقا)[١]،وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قَرَينا ابن عمك وأصحابه ،فأشهد إنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين ،[وقد بعثت إليك يا نبي الله [بأريحا][٢] بن الأصحم بن أبجر فأني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله فإني أشهد أن ماتقول حق، والسلام عليك يا رسول الله][٣] "[٤]

وفي هذا الجواب نجد النجاشي يعلن إسلامه لله رب العالمين على يدي جعفر ، ولأجل ذلك نستطيع القول بأن دخوله في الإسلام كان على يدي جعفر رضي الله عنه ، وأن إعلان إسلامه والجهر به بين قومه خاصة وبين الناس عامة كان على يدي عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وهنا تجتمع الآراء ويزول اللبس بإذن الله والله أعلم بالصواب .

---

(١) والثفروق: علاقة ما بين النواة والقشرة ، زاد المعاد ٣/ ٦٩٠

(٢) عند الطبري في تاريخه١٣٢/٢ وابن حبان في الثقات٩/٢ : أرها ،وعند ابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٨: أرمى .قال ابن حجر في الإصابة ١/ ١٩٢ :"أرمى ويقال أرهى ويقال أريحا بن أَصْحَمَة"

(٣) خلت منها رواية الواقدي ،نصب الراية ٤٢١/٤

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٣٠٩،٣١٠، والزيلعي في نصب الراية ٤٢١/٤، والطبري في تاريخه ١٣٢/٢ وابن الأثير في أسد الغابة ٣٨/١،وابن حبان في الثقات ٩/٢،وابن سيد الناس في العيون ٢/ ٣٣٠، وابن الجوزي في تنوير الغبش ١٠٦، وابن كثير في السيرة ٢/ ٤٢،٤٣، وابن القيم في الزاد ٦٩٠/٣، والذهبي في تاريخ الإسلام ١/ ٦٠٢، وابن طولون في الإعلام٥٠، والقسطلاني في المواهب اللدنية ١/ ٥٤٤، وذكرها بصيغة التصحيح حميد الله في الوثائق السياسية١٠٥،١٠٤.

وخلاصة الأمر؛ الجزم واليقين بصحة إسلام النجاشي أَصْحَمَة وموته على الإسلام وذلك من خلال صلاة النبي ﷺ على أنه واحد من المسلمين، و الاستغفار له أيضا ، ثم إطلاق الرسول ﷺ (الأخوة والصلاح) عليه أخرى،كل ذلك جاءنا بالسند الصحيح من روايات البخاري – كما في صحيحه – وغيره :

فعن أبي هريرة ﷺ قال: "نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي، ثم تقدم فصفوا خلفه فكبّر عليه أربعاً"(١)

وعن جابر ﷺ قال: قال النبي ﷺ :" قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه، قال: فصففنا فصلى النبي ﷺ عليه ونحن صفوف، قال جابر: وكنت في الصف الثاني"(٢)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: "نعى رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة يوم الذي مات فيه فقال: استغفروا لأخيكم"(٣)

وفي كتاب مناقب الأنصار، بوَّب البخاري: باب موت النجاشي، ثم ساق حديث جابرﷺ قال: قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: "مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمَة"(٤).

وهنا وقفة نبه إليها ابن حجر بقوله: (وقد استشكل كون البخاري لم يترجم بإسلامه وهذا موضعه، وترجم بموته، وإنما مات بعد ذلك بزمن طويل، والجواب: أنه لم يثبت عنده القصة الواردة في صفة إسلامه، وثبت عنده الحديث الدال على إسلامه وهو صريح في موته ترجم به ليستفاد من الصلاة عليه أنه كان قد أسلم)(٥) .

*****

(١) رواه البخاري ٨٦/٢: ك/الجنائز ب/ الصفوف على الجنازة،ح(١٣١٨) .
(٢) رواه البخاري ٨٧/٢ : ك/الجنائز ب/ الصفوف على الجنازة،ح(١٣٢٠).
(٣) رواه البخاري ٨٨/٢ : ك/الجنائز ب/ الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد،ح(١٣٢٧) .
(٤) رواه البخاري ٥١/٥: ك/ مناقب الأنصار، ب/ موت النجاشي ،ح(٣٨٧٧).
(٥) فتح الباري ١٩١/٧.

الفصل الأول

فقه السياسة الشرعية في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : التفسير السياسي لنص الرسالة، وتحته ستة مطالب :

المطلب الأول : شعار الوثيقة النبوية

المطلب الثاني : البدء بتعريف المُرسِل

المطلب الثالث : تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه

المطلب الرابع : تحية المُرسَل إليه وتوديعه

المطلب الخامس : موضوع الوثيقة النبوية

المطلب السادس : لغة الوثيقة النبوية

المبحث الثاني : السياسة في اختيار الرسل وإرسالهم، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : صفات الرسل والسفراء

المطلب الثاني : لمحة تعريفية عن الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه

المبحث الثالث : المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : التوقيت المناسب في مراسلات النبي ﷺ

المطلب الثاني : فوائد المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية

المبحث الرابع : المكاسب السياسية للرسائل النبوية

المبحث الأول
التفسير السياسي لنص الرسالة

مدخل :

ذات أهمية كبيرة تلك الرسائل والبعوث بين الدول في توطيد العلاقة فيما بينها، ذلك أنها تعد من أنجع الوسائل الدبلوماسية القديمة المعاصرة، وأسلمها توثيقا لمواقف الدول، فهي تعبر عن موقف الدولة الصريح الموثق وهي وسيلة مباشرة بين الدول وغالبا ما تتبادل الدول المذكرات الدبلوماسية(١) لتسوية المنازعات الناشئة فيما بينها وهي وسيلة متقدمة على المفاوضات، لأن كل عبارة فيها دُرست بصورة دقيقة عبر أجهزة الدولة، وقد اعتمد النبي ﷺ أسلوب المذكرات عند مخاطبة الملوك والأمراء وشيوخ القبائل، وقد اعتمد أيضا أسلوبا دبلوماسيا رفيعا في كتابة المذكرات الدبلوماسية، وهو ذات الأسلوب الحديث المستخدم في صياغة المذكرات الدبلوماسية في الوقت الحاضر.

ومع بداية ظهور الإسلام في المدينة، لم يشغل الدولة الفتية مشاكلها ومعاناتها مع اليهود والمنافقين والقبائل المحيطة بالمدينة وتهديد قريش والقبائل المتحالفة معها عن تنظيم علاقاتها الدولية، فقد عملت الدولة الإسلامية على الإعلان عن نفسها منذ بداية قيامها، بأن قوة

---

(١) الدبلوماسية مؤنَّث دِبْلوماسِيّ وأصلها كلمة إنجليزية Diplomacy، وهي مجموعة القواعد والأعراف والمبادئ الدوليّة التي تهتمّ بتنظيم العلاقات القائمة بين الدول والمنظَّمات الدوليّة ، والدبلوماسي هو المشتغل بالدبلوماسية (كالسفير)، ومصطلح الدبلوماسية مصطلح لا يعرف في اللغة العربية بل هو دخيل عليها إلا أن مفهوم الدبلوماسية وقواعدها عرفها العرب بقيم وأخلاق إنسانية قبل أن تظهر في أوروبا بقرون عديدة، فهو أساسا مصطلح لاتيني نتج من خلال العلاقات الدولية بين الدول الأوربية المسيحية، وقد دخل هذا المصطلح إلى المعجم الدولي في أواسط القرن السابع عشر، وتطور استعمالها عبر العصور المختلفة حتى أصبح مدلولها في العصر الحديث ينصرف إلى فن إدارة العلاقات الخارجية للدولة وهو المعنى الأكثر شيوعا، انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد ١/ ٧٢٣؛ والعلاقات الدولية في الإسلام لعثمان جمعة ضميرية ١٠٤؛ ودبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي ٧، وقد آثرتُ أن أستخدم هذا المصطلح لتقريب الموضوع إلى مظانّه ولاشتهاره أيضا حتى صار هو المصطلح المتعارف عليه بين الدول العربية وبين الأوساط الأكاديمية خصوصا المهتمين بالجوانب السياسية والقانونية.

دولية جديدة قد ظهرت في المنطقة العربية في عالم تتجاذبه المصالح المادية وأنانية السيطرة والاستحواذ . وقد أرادت الدولة الإسلامية أن تثبت للعالم بأنها دولة متحضرة لها قانونها السماوي وقوتها، وإن أساس الحكم فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنها تهدف إلى تخليص الشعوب من الظلم والاستبداد والتخلف .

ولما كان نشر الدين الجديد والإعلان عن الدولة الإسلامية يتطلب إشعار الدول الأخرى بوجودها والتواصل معها، وهذه المهمة لا يمكن تحقيقها إلا بالطرق التي تعارفت عليها الدول المتطورة في ذلك الوقت، فقد لجأ محمد ﷺ إلى مراسلة الملوك والأمراء وشيوخ القبائل بالمذكرات الدبلوماسية وبشكل يدل على تطور وتقدم دولة الإسلام ومأرز المسلمين .

ثم إن النبي ﷺ – في حنكة سياسية – لم يتجه صوب الأمم والشعوب المتخلفة البدائية لنشر رسالته رغم شمولها لعمومية الرسالة ، لأن مقدار ما تفهمه هذه الأمم والشعوب لا يرقى إلى فهم أحكام الشريعة الإسلامية القائمة على المنطق والحجة والفهم الصحيح، ولأنه مازال في طور تقوية وبناء دولة الإسلام الفتية، وفي إيمان أحد الحضارات التي لها اسمها في ذلك الزمان أعظم الأثر على دولة الإسلام ويكسبها هيبة وقداسة، حينها تدخل تلك الشعوب الهمجية تبعا وبأقل التكاليف، وأيضا فضّل أرقى الحضارات المعاصرة له لأنها تملك من الوعي والقدرة ما يؤهلها لفهم وإدراك محتوى الرسالة الإسلامية، واتجه أيضا إلى القمم وخاطبها و لم يبدأ بالقواعد الشعبية العريضة ، لأنه يدرك تماما أن استجابة الملك أو الأمير أو الزعيم تتبعها استجابة الدولة برمتها، ومن ثم يتحقق المطلوب .

وقد أدرك النبي ﷺ أبعاد أهمية المذكرات الدبلوماسية التي أرسلها إلى الملوك والأمراء، وكان واثقا من نفسه وأصالة رسالته، وعلم أن الأمم لا تقاس باتساع مساحات أرضها ولا بكثرة شعوبها أو قوتها المادية والعسكرية، إنما ما تملكه من قيم أخلاقية وروحية عالية، ومبادئ إنسانية أصيلة، فهذه لوحدها كافية لأن تهز عروش وتقلعها من أساسها، أو تضعها على جادة العدل والصواب، لذا كانت هذه المذكرات التي يبعثها النبي ﷺ تفيض بالقيم الإلهية التي لا تعلوها قيمة وبالأخلاق الراقية الرفيعة، والتي كان لها الأثر الكبير في إسلام العديد من الملوك والأمراء وعلى رأسهم نجاشي الحبشة أَصْحَمَة رضي الله عنه (١).

---

(١) انظر: دبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي ٢٢٧-٢٢٩ (بتصرف).

وبعد ذلك كله يجدر بنا أن نقف مع هذه الوثيقة النبوية العظيمة ونبرز شيئا من معالمها السياسية، والتي تعد – كغيرها من الوثائق – وإلى اليوم مصدرا بارزا منسيا من مصادر المذكرات الدبلوماسية بين الدول، وآن الأوان اليوم ليُحيى ذلك التراث الأصيل تراث خير بشر لخير دولة مرت على وجه التاريخ .

ولعل من المناسب هنا أن أذكر نص الرسالة المختار بعد التحقيق:

" بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى "

المطلب الأول
شعار الوثيقة النبوية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إن أول ما يقع عليه النظر ويملك اللب، هو أول الرسالة، ولذا فإن من خلالها يتبين للقارئ من أين مصدرها؟!، وما هي لغتها و مغزى الرسالة وما تنطوي عليه، ولذلك حرصت الدول قديما وحديثا على الاعتناء بصدر الرسالة وأول ما يقع عليه النظر، وهو الشعار الرئيس الذي تمنح الدولة لنفسها امتيازا وسيادة، و لم يكن النبي ﷺ ليغفل عن هذا الأمر السائد والمتعارف عليه بين تلك الدول والقبائل العربية المعاصرة، بل اتخذ شعارا أصبح فيما بعد دستورا وعرفا دولياً تبدأ به دول الخلافة الإسلامية، وما جاء بعدها من الدول التي جعلت الإسلام دين الدولة الرسمي، فقد كان ﷺ يبدأ كتبه بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) تيمنا وتبركا باسمه تعالى، ولأن الله تبارك وتعالى أدبه بتعليمه تقديم أسمائه الحسنى أمام جميع أقواله وأفعاله فكانت خطبه وتعبداته وجميع أحواله تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، ومن هنا كان أمرا مستحبا للإنسان أن يفعله كبر أم صغر .

قال النووي رحمه الله :" استحباب تصدير الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافرا"(١)، ثم إن في اختيار اسم الله الرحمن وصفته الرحيم من بين أسماء الله الحسنى فيه دلالة على سلامة الهدف وعِظَم المراد، ليس كما تفعله كثير من الدول اليوم من اختيار عبارات تقرأ من ورائها معنى العلو والسلطة والسيطرة، إنما هي الدعوة إلى الإسلام من باب الرحمة واللطف وحب الخير للناس .

---

(١) المنهاج شرح النووي على مسلم ١٢/١٠٨،١٠٧

المطلب الثاني
البدء بتعريف المرسِل

(من محمد رسول الله)

وتحتها ثلاث فوائد :

الأولى : في البُداءة باسم محمد والتعريف بنفسه أنه رسول الله دليل على سنية أن يبدأ المُرسِل بنفسه والزيادة على ذلك بما يعرف به نفسه ومقامه ومكانته -إن لزم الأمر-، وفي المسألة خلاف، لكن الصحيح عند أكثر العلماء هو استحباب أن يبدأ بنفسه لأنه إجماع الصحابة – رضوان الله عليهم – (١) .

الثانية : في قوله (محمد رسول الله) إثبات للسيادة في الرسالة والنبوة، وخصوصيتها له وحده ﷺ هذا من جهة، ومن جهة أخرى إثباتٌ للسيادة الدولية التي هي إحدى العناصر الثلاث لقيام الدول(٢)، فدولة لا تملك السيادة لا على شعبها ولا على أرضها هي ليست بدولة!، وحيث أن دولة الإسلام لما قامت واتخذت المدينة النبوية عاصمتها لها، كانت دولة فتية ناشئة ليس لها وزن أمام الدول والحضارات الكبرى القائمة الروم وفارس وغيرها، من هنا أراد النبي ﷺ أن يثبت للعالم أن دولة حديثة قد قامت ذات سيادة وقوة وسلطان وهذا ظاهر في تصدير رسائله ﷺ كلها باسم رئيسها (محمد رسول الله) .

الثالثة : في قوله (محمد رسول الله) مثل رائع في عدم الإفراط و التفريط في الألقاب وحشد عبارات التعظيم والتمجيد، وهل من أحد أحق بالتعظيم من محمد ﷺ ؟!، ومع ذلك أعرض عن المديح واقتصر على ذكر اسمه مذيلا إياه بما يوجبه المقام وتقتضيه الحال وهي التبليغ والدعوة، فليست القضية تسلط وغلبة وتهديد إنما هي فقط دعوة ورسالة، وصدق الله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم:٤] .

---

(١) انظر: فتح الباري ٣٨/١؛ والمنهاج شرح النووي على مسلم ١٠٨/١٢ .

(٢) انظر: دبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي ٢٣٢-٢٣٣

المطلب الثالث
تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه

(إلى النجاشي عظيم الحبشة)

وتحتها فائدتان :

الأولى : "فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة؛ لأنه معزول بحكم الإسلام فلا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة"(١).

الثانية : ولم يقتصر على قول (إلى النجاشي) فقط، بل أتى بنوع من الملاطفة فقال (عظيم الحبشة) أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يُدعى إلى الإسلام فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [سورة طه:٤٤](٢)، وهذا المعروف بين رؤساء الدول عندما يتراسلون فيما بينهم، فإنهم يذكرون اسم الرئيس وبأفضل الألقاب والأوصاف التي وَصفوا بها أنفسهم حتى يكسبوا الود والاحترام المتبادل فيما بينهم(٣) .

---

(١) فتح الباري ٣٨/١؛ والمنهاج شرح النووي على مسلم ١٠٨/١٢.

(٢) انظر: المنهاج شرح النووي على مسلم ١٠٨/١٢.

(٣) انظر: دبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي ٢٣٥.

المطلب الرابع
تحية المُرسَل إليه وتوديعه

(سلام على من اتبع الهدى) وفي آخرها (والسلام على من اتبع الهدى)

سلامٌ في أوله وسلامٌ في أُخراه، إنّ هذا لهو من أبرز معالم الدين الإسلامي، أمانٌ وسلامٌ في الدنيا وأمانٌ وسلامٌ في العقبى، حتى الكفار ينعمون تحت ظل الإسلام بالسلام والأمان ، فالكل آمن حتى الحيوان والشجر والجماد الذي لا روح فيه!، كيف لا يكون ذلك وهو دين مَن خلق الخلائق - جل في علاه - ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الملك:١٤]، وهاهو محمد ﷺ يتمثل هذا الدين العظيم فيبعث كتبه إلى أعتى حضارات عصره مبشرا بالسلام لمن رغب بالدخول تحت ظل هذا الدين العظيم واعتنقه، يبدأ ويختتم بها كتبه ومراسيله، في أنموذج لا تكاد تجد مثله على مر التاريخ ولن تجد .

فإن قيل: كيف يُبدأ الكافر بالسلام[١]؟! فالجواب أن ليس المراد من هذه التحية، إنما معناه سَلِمَ من عذاب الله مَن أسلم، فمحصل الجواب أنه لم يبدأ الكافر بالسلام قصداً وإن كان اللفظ يُشعر به[٢] .

---

(١) طبعا هذا ما ظهر من حال النجاشي أصْحَمَة قبل أن تأتيه الرسالة، وإن كنتُ قد رجحتُ أن حال مجيء الرسالة كان مسلما لكنه كان يكتم إيمانه وإسلامه، وللاستزادة انظر: الفرع الأول من المطلب الثاني في المبحث الثالث من التمهيد : تحديد وقت إسلام النجاشي من نفس الرسالة .

(٢) فتح الباري ٣٨/١.

المطلب الخامس
موضوع الوثيقة النبوية

(أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي)

البلاغة والإيجاز، هي معجزة النبي ﷺ لأن مبعثه إلى قومٍ يرون الإيجاز وحذف الفضول من الكلام من البلاغة، ويمدحون الرجل بحسن الإيجاز وترك الإسهاب، ويرون التطويل عيباً وخللاً، إلا إذا اقتضته الحاجة، ومن أوجه البلاغة في هذا الكتاب – وغيره من كتبه ورسائله ﷺ – ما يلي:

١– الاقتصار على القدر الضروري من أصول المطالب دون النظر إلى فروعها.

٢– الاقتصار في ألفاظه ﷺ على تقريب المعاني إلى المخاطبين بلا تكلف، ولا ارتكاب تسجيع أو تطويل.

٣– مراعاة الإيجاز إلا إذا اقتضى الحال الإسهاب.

٤– استعمال الألفاظ الفحْلة، والعبارات الجزْلة، والأساليب البليغة، مع التسهيل أحيانا إذا اقتضى المقام، كما يظهر هذا في الرسالة التي معنا وما ذاك والله أعلم إلا لمكانة النجاشي عند النبي ﷺ وسابقته في حماية ونصرة مهاجري الحبشة رضوان الله عليهم، فأراد أن يتلطف معه في القول رغبة في إسلامه ووقع ما تمنى .

٥– قلة التفنن في بدء الكلام، وختمه، فيبدأ الكتاب بالبسملة، ويمضي في غرضه، ويختمه بالسلام[1] .

---

(١) من ١– ٥انظر: دبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي ٢٤٠ (بتصرف)

٦- التعبير عن نفسه ﷺ وهو مَن هو بأبي هو وأمي ﷺ سيد ولد آدم أجمعين - في تواضع نادر- بضمير الإفراد أو تاء وكاف الخطاب، كقوله: (فإني أحمد إليك الله، وإني أدعوك، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي)، وهذا أيضا يزيدنا إيماناً ويقيناً بأن النبي ﷺ لم يقصد من ذلك اللين في القول إلا رجاء الدخول في الإسلام وأنها نصيحة صادقة، بعيدة كل البعد عن الكبر والطمع! .

٧- حسن ترتيب الكلام وبراعة الانتقال، فتجده بقوله (أما بعد) كأنما يؤذن قارئه بأن صلب الموضوع قد جاء وقته وحان زمانه، فَأَرْع له سمعك وبصرك، ثم يفتتح ذلك بخير ما فتحت به الأمور وهو الحمد والتمجيد لله عز وجل، ويختار من صفات الله سبحانه الملك الذي له الملك التام على جميع خلقه في إشارة خاطفة إلى أن الله هو الذي أعطاك هذا الملك ولو شاء لنزعه من تحت قدمك، وأعطاني أمانة ملكك وهي طاعتي واتباع أمري، وهذا ظاهر من قوله بعد ذلك: القدوس السلام المؤمن المهيمن، ثم عرج في بيان جامع شامل لعقيدة أهل الإسلام في المسيح عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى أمه، وفي ذلك من المناسبة البالغة حيث علم ﷺ أنه سيخاطب قوما نصارى يعتقدون في المسيح عيسى عليه السلام عقيدة منحرفة من التثليث وغيره، فأراد أن يصحح تلك العقيدة المنحرفة، وأن يزيل الضغينة عند النصارى تجاه المسلمين فيما ظنوه أنهم أعداء المسيح، وعندما انتهت فاتحة الكتاب الحمد والتمجيد والشهادة ناسب الدعوة إلى الله حيث الأذن صاغية والفكر واع والقلب مستسلم، (وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته) بيان لشهادة أن لا إله إلا الله، وفي قوله : (وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله) بيان لشهادة أن محمد رسول الله، ولا إسلام بلا شهادة ولا شهادة بلا اتباع ولا اتباع بلا يقين، وفي فطنة وحدس سريع يعيد النبي ﷺ مرة أخرى الدعوة إلى الله ولكن هذه المرة يبين أن الدعوة عامة لك ولجندك (وإني أدعوك وجنودك إلى الله ﷻ وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي) وقد بلغ ونصح ﷺ فقبل نصيحته وتمت الغاية ومات مسلما ولله الحمد .

المطلب السادس
لغة الوثيقة النبوية

في اختيار النبي ﷺ اللغة العربية لمكاتباته ومراسيله، بل وبَعْثها إلى أقوام لا يعرفون اللغة العربية ولا يقرؤونها ولا يتكلمون بها، فيه من المصالح والفوائد ما يلي :

الأولى : أن تصدير المخاطبات والمكاتبات بين دول ذلك الزمان كان بلغة كل دولة، مع إرسال مترجم لها مع مبعوثها إلى الدولة الأخرى، والنبي ﷺ لم يخرج عن هذا العرف المشهور .

الثانية : أن لغة العرب قد تبوأت مكانا رفيعا في ذلك الزمان، حتى اشتهرت بين الناس تلك الأسواق الأدبية، وصار لها صيتا وذكرى عند القبائل العربية، والتي بدورها انتقلت منها تلك الأخبار إلى الأصقاع المعمورة، ويمكن لنا القول أن اللغة العربية تكاد أن تكون اللغة الأبرز والتي لها حضور وانتشار بين الناس في ذلك العصر .

الثالثة : أن في ذلك حفظا لشؤون الملة الإسلامية وصوناً لجانب الاستقلال والعظمة، ألا ترى أن الأمم المتمدنة يسعون في انتشار لسانهم في العالم حتى تصير لغتهم لغة عالمية، وإعمالاً للسيادة وتثبيتاً للعظمة، فكأنه ﷺ يلاحظ جانب الإسلام وأنه يعلو ولا يعلى عليه وأن لغة القرآن لا بد أن تنتشر، وتعم العالم؛ لأن القرآن العظيم كتاب للعالم، فعظمة القرآن تقتضي أن يكتب إلى العجم بلغة القرآن(١).

الرابعة : أن الكتاب الرسمي باللغة الرسمية للجهة المرسلة ضمان أكيد لدقة التبليغ بالمعنى الذي يريده المرسل، حتى إذا حدث خطأ في الترجمة كانت التبعة على المترجم لا على الكتاب ولا على مرسله، حتى يكون الرجوع إلى النص الأصلي فيصل الموضوع عند حدوث مشكلة أو خطأ (٢) .

---

(١) انظر: مكاتب الرسول ﷺ لعلي الأحمدي ١/٨٠ – ٨٤ (بتصرف)

(٢) انظر: دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين د. كامل سلامة الدقس ٤٩٣.

المبحث الثاني
السياسة في اختيار الرسل وإرسالهم

مدخل :

الرسُل في اللغة : جمع رسول والرسول : على وزن فَعول بمعنى مَفْعول وهو من يُتابع أخبار من بعثه ، أخْذاً من قولهم: جاءت الإبل أَرْسالاً إذا جاء منها رَسَلٌ بعد رَسَل– أي متتابعة – والرسول أيضاً : الرسالة، وسمي الرسول رسولاً ؛ لأنه ذو رسول أي ذو رسالة(١).

فالرسول "هو الذي أمره المرسِل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض"(٢)، ويطلق الرسول على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ، ويجمع على رُسُل ورُسْل وأَرْسُل .

وفي الاصطلاح : "يطلق الرسول على من أمره المرسِل بأداء الرسالة في عقد أو أمر آخر، فهو يبلغ الرسالة فقط وليس وكيلاً ولا يضيف العقد إلى نفسه، وهو عند الملوك: رجلٌ يرسل بين ملكين في أمور خاصة من عقد صلح أوهدنة أو فداء أو تحالف"(٣) .

ثم إن في العصر الحاضر أصبح يطلق السفير على الرسول كمُوفدٍ دبلوماسي من الدولة .

والسفير في اللغة : أصله من السفر والسين والفاء والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء، والسفير على وزن فعيل بمعنى فاعل والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء وهو المصلح بين القوم، لأنه أزال ما كان هنالك من عداوة وخلاف، **والسفارة :** مصدر سفر(٤).

---

(١) لسان العرب، ب/اللام، ف/الراء، مادة (رسل) ٢٨٤/١١.

(٢) التعريفات للجرجاني ١٤٨/١ .

(٣) العلاقات الدولية في الإسلام لعثمان ضميرية ١٠٤.

(٤) انظر : لسان العرب ب/الراء، ف/السين، مادة (سفر) ٣٧٠/٤؛ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، ك/ السين، مادة (سفر) ٨٢/٣؛ والصحاح، ف/السين، مادة (سفر) ٦٨٦/٢ .

وفي الاصطلاح : فإن السفير هو: مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها، والسفارة هي: عمل السفير (١) .

ولقد بلغت عدد مكاتبات النبي ﷺ إلى ملوك وأمراء عصره، اثنان وعشرون كتابا مع كل كتاب مبعوثا وسفيرا بينه وبين القوم، ومن ضمن أولئك السفراء – بل من أجلهم – الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، سفير النبي ﷺ إلى النجاشي أَصْحَمَة رضي الله عنه .

و"إن مما لا شك فيه ولا ريب أن النبي ﷺ كان حكيماً في اختيار سفرائه، لأن كل سفير لا يصلح لأي بلد، ولا كل صيغة تناسب أي ملك أو حاكم لقد اختار ﷺ لكل مكان السفير الذي يعرفه حق المعرفة ويعرف لغته وقومه، ولقد حرر كل كتاب مراعياً ظروف ووضع كل رئيس أو ملك أرسل إليه.

لقد جاء هذا الاختيار الدقيق بعد جهد منه ﷺ في حكمة وكياسة لا يضارعان، حيث إنه لا يتم ذلك إلا بعد دراسة دقيقة ومعرفة تامة بهؤلاء السفراء، واطمئنان لهم، وثقة في قدرتهم على إثبات وجودهم وتمثيل النبي ﷺ تمثيلاً صحيحاً وتوصيل رسالته توصيلاً دقيقاً"(٢) .

ثم "إن هدف السفارات النبوية هو الدعوة إلى اعتناق الإسلام، فكان سفراء النبي ﷺ الذين أرسلهم إلى الملوك والأمراء في زمانه دعاة إلى الإسلام، ولكنهم كانوا صفوة الدعاة؛ لأن إسلام ملك أو أمير يؤثر تأثيراً عظيماً في أتباعه، لذلك كان سفراء النبي ﷺ هم صفوة الدعاة المسلمين من الصحابة، فإذا كان الدعاة هم صفوة الصحابة، فإن السفراء النبويين هم صفوة الصفوة في سماتهم الخاصة التي تؤهلهم للنهوض بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة"(٣).

---

(١) المعجم الوسيط، ب/السين، مادة (السفير) ٤٣٣/١ .

(٢) دولة الرسول من التكوين إلى التمكين د. كامل سلامة الدقس ص٤٩٣ – ٤٩٤.

(٣) سفراء النبي ﷺ لمحمود شيت خطاب ٢٠١/٢ .

المطلب الأول
صفات الرسل والسفراء

إن العرب قبل الإسلام قد اهتموا كثيرا بالرسول والسفير، فكم من حرب وفتنة أُخمدت بسبب سفير حاذق، وكم من عزٍّ ورِفعة جُلبت لأجل سفير حكيم، لذا تجد العرب قد أغرقوا في معايير الاختيار لسفرائهم، لأنهم في الحقيقة سفرائهم هم من يمثلهم عند القبائل الأخرى .

وممن اشتهر منهم بذلك أكثم بن صيفي(١) وحاجب بن زرارة(٢) والحارث بن عبدة البكري(٣) وعبد المطلب وعمر بن الخطاب الذي كان بمثابة وزير خارجية حكومة الملأ في مكة قبل الإسلام .

قال الحكيم أكثم بن صيفي :" اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك، رجلا حصيفا بليغا، قليل الغفلة، منتهز الفرصة، ذا رأي جزل وقول فصل، ولسان سليط وقلب حديد، فطنا للطائف التدبير، ومستقلا لما ترجو أو تحاول بالحزامة وإصابة الرأي، ومتعقبا له بالحذر والتمييز، ساميا إلى ما يستدعيه إليك ويستدفعه عنك، إن حاول جر أمر أحسن اعتلاقه، وإن رام دفعه أحسن رده، حاضر الفصاحة مبتدر العبارة، ظاهر الظلافة وثابا على الحجج، مبرما لما نقض خصمك ناقضا لما ابرم، يجيل الباطل في شخص الحق والحق في شخص الباطل متى رام احتجاجا عنك، ألد على أهل اللدد في

---

(١) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث ابن مخاشن بن معاوية التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. عاش زمنا طويلا، وأدرك الاسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق سنة ٩هـ، ولم ير النبي ﷺ وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه. انظر الأعلام للزركلي ٦/٢.

(٢) هو حاجب بن زارة بن عدس الدارمي التميمي: من سادات العرب في الجاهلية، كان رئيس تميم في عدة مواطن، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به، وحضر يوم شعب جبلة (من أيام العرب المعروفة) قبل ١٩ أو ١٧ سنة من مولد النبي ﷺ وأدرك الإسلام وأسلم، وبعثه النبي ﷺ على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات نحو سنة ٣هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٥٣/٢ .

(٣) لم أجد له ترجمة .

مواقفه ومشاهده، محتالا في محاورته ومكائده، جامعا مع هذا العلم الفرائض والسنن والأحكام والسير ليحتذى، مثال من سلف فيما يورده ويصدره، عالما بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال ليناظر كلا بحسب ما يراه من صوابه وخطئه، وليكن من أهل الشرف والبيوتات ذا همة عالية فإنه لا بد مقتف آثار أوليته محب لمناقبها مساو لأهله فيها، فمتى اجتمعت لك فيه هذه الخصال فاجعله من بطانتك وأطلعه طلع أمرك خطيره وحقيره، واستشره في بداتك لطيفها وجليلها، ومتى أخلت به هذه الخلال كانت جنايته عليك أعظم، وكان كالسالك طريقا لا يدري أين يؤم منه "(١)

وقال الشاعر(٢):

(تخيّرْ رسولك إن الرسولَ ** يدل على عقل مَن أرسله)

(تَراهُ إذا كان ذا حكمةٍ ** يُبلِّغ أحسنَ ما حمّله)

(فَيُبرم منتقضاتِ الأمورِ ** ويفتح أبوابها المقفله)

(ويرجع إن كان ذا غِرَّة ** عليه الأمور التي هُنّ له)

وإن الناظر بعين البصيرة لاختيار محمد ﷺ لرسله وسفرائه، يجد أنها لم تكن عبثا ولا ضربا من الحظ!، بل هي الحنكة والفطنة والدهاء، وهذا ما يدعونا إلى التأمل في صفات أولئك الرسل وسماتهم، ومن بينهم وعلى رأسهم وأول الستة الذين بعثهم النبي ﷺ(٣) ، هو الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه .

---

(١) رسل الملوك لابن الفراء ٣٣،٣٤ .

(٢) المرجع السابق ٣٨ .

(٣) قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٢٥٨:" فكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي " .

المطلب الثاني
لمحةٌ تعريفية عن الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه

أولاً : النسب والشرف :

هو الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، يكنى أبا أمية، و يلتقي مع النبي ﷺ في نسبه الشريف عند جده كنانة بن خزيمة، وهو من أهل الحجاز(١) .

ثانياً : كثرة الغزوات مع النبي ﷺ :

شهد بدرا و أحدا مع المشركين، ثم أسلم حين انصرف المشركون عن أحد، وأول مشاهده التي اشترك فيها بعد إسلامه بئر معونة، وذلك في صفر على رأس ست وثلاثين شهرا من الهجرة، فأسرته بنو عامر وأطلق سراحه عامر بن الطفيل وجزَّ ناصيته، غزا مع النبي ﷺ عدة غزوات، وروى أحاديث عنه .(٢)

ثالثاً : الشجاعة والإقدام :

كان من رجال العرب نجدة وجرأة ومن أجيادها، وكان شديد البأس فتّاكا في الجاهلية، معروف بالشجاعة والإقدام حتى بعد إسلامه ، وكان من أبطال الصحابة رضوان الله عليهم، ذا خفة ومهارة وجرأة، لذا فقد كان ﷺ ينتخبه من بين الصحابة في أموره الحساسة والتي تحتمل المخاطرة، وتحتاج نوعا من السرية والكتمان، من ذلك القصة المشهورة في بعث النبي ﷺ أبا أمية في سرية وحده- وقيل أرسل معه رجلا آخر- عيْناً إلى قريش، حين قال سفيان بن حرب : ألا أحدٌ يغتال محمدا فإنه يمشي في الأسواق وحده، ولكن الله حفظ رسوله ﷺ من غدر ذلك الأعرابي رسول سفيان، فقال ﷺ لأبي أمية ومن معه : ((إن أصبتما منه – أي سفيان – غرة فاقتلاه))، لكن افتضح أمرهما وهما يطوفا بالبيت فهربا،

---

(١) انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/ ١٩٩٣؛ أسد الغابة ٢/ ٣٣٧؛ تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ٥٤٥-٥٤٦.

(٢) انظر: تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ٥٤٦-٥٤٧؛ سير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٩، ١٨٠.

وهما في الطريق مرا بحرس يحرسون جيفة خبيب بن عدي رضي الله عنه، فعمد أبا أمية إلى خبيب فأنزله عن خشبته، وحمله على ظهره، و لم يلحظ به أحد!، فما مشى به عشرين ذراعا حتى علم به الحرس، فهرب به وهو على ظهره، حتى أتى جُرفا بمهبط مسيل يأجج، فرمى بالجيفة في الجرف، فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه.(١)

و"لما أتى عمرو النجاشي، وجد من كان عنده يدخلون مكفِّرين من خَوْخة(٢)، فلما رأى الخوخة ودخولهم عليه، ولى ظهره، ثم دخل يمشي القهقرى، فلما دخل منها اعتدل، ففزعت الحبشة وهموا بقتله!، قالوا: ما منعك أن تدخل كما دخلنا؟! قال: لا نصنع ذلك بنبينا، فهو أحق أن نصنع ذلك به، فقال النجاشي: اتركوه، صدق"(٣) .

رابعاً : الفصاحة والبلاغة :

كان عمرو رضي الله عنه فصيحا بليغاً ذا حجة ولسان حكيم، ولقد تشرف بأن كان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ من بين الرسل، فأرسله في أواخر السنة السادسة للهجرة، أو في أوائل أشهر السنة السابعة للهجرة، وكان مبعثه إلى النجاشي ، وكتب ﷺ إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، ومرة أخرى بعثه النبي ﷺ إلى مسيلمة الكذاب لعنه الله يدعوه إلى الإسلام، و لم يقبل بل عاند واستكبر(٤) .

ومما يدل على فصاحته وبلاغته وحسن منطقه، ما دار بينه وبين النجاشي من حوار، قال له : "يا أصْحَمَة إن علي القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقَّة علينا وكأنا في

---

(١) انظر: الروض الأنف للسهيلي ٥٤٦/٧؛ تاريخ الإسلام ٢/ ٤٢٣؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ٨ / ٦؛ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١١/ ٣٦٥ .

(٢) التكفير: هو أن ينحني الإنسان ويطأطئ رأسه قريبا من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، لسان العرب ٥/ ١٥٠، ب/الراء، ف/الكاف، مادة(كفر) .

والخَوْخة :هي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين ينصب عليها باب، لسان العرب، ب/الخاء، ف/الخاء، مادة(خوخ) ٣/ ١٤ .

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٣٩ .

(٤) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٣/١،٢٥٨.

الثقة بك منك، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، و لم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمِنَك على ما خافهم عليه بخير سالف وأجر ينتظر . فقال النجاشي : أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر"(١)، ولا يُستبعد أن يقال : أن تلك الكلمات التي افتتح بها عمرو اللقاء كانت سببا رئيسيا في فتح قلب النجاشي وقبوله للدعوة ومن ثَم إسلامه، إنها بحق الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة كما أمرنا الله .

وفاته :

عاش عمرو بن أمية إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، وتُوفِّي في آخر عهده بالمدينة قبل الستين من الهجرة (٢).

وبعد دراسة لسفراء النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء – ومن بينهم سفير النبي ﷺ إلى النجاشي – وما يمتلكون من صفات وقدرات منحتهم الكفاءة للقيام بتلك المهمة العظيمة، يمكن تلخيص ذلك في صفات ستٍّ كان النبي ﷺ يختار على ضوئها وهي على سبيل الإجمال :

أولاً : النسب والشرف

ثانياً : الغزوة معه ﷺ

---

(١) انظر: الروض الأنف للسهيلي ٤٨٤/٣؛ زاد المعاد ٦٨٩/٣، ٦٩٠ .

(٢) وللاستزادة انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٣/١، ٢٥٨ ؛ ٢/ ٩٤؛ تاريخ الأمم والملوك للطبري٢/ ٧٩؛ عيون الأثر ٣٢٩/٢؛ الروض الأنف للسهيلي ٥٤٦/٧؛ معرفة الصحابة لأبي نعيم ٤/ ١٩٩٣؛ أسد الغابة ٢/ ٣٣٧؛ تاريخ الإسلام ٢/ ٤٢٣؛ تهذيب الكمال للمزي ٢١/ ٥٤٥-٥٤٧؛ إكمال تهذيب الكمال للحنفي ١٠/ ١٣٠، ١٣١؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ٨ / ٦؛ سير أعلام النبلاء ٣/ ١٧٩، ١٨٠؛ السيرة لابن كثير ١٣٥/٣-١٤٢؛ زاد المعاد ٦٨٩/٣؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ٣٩؛ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١١/ ٣٦٥ .

ثالثاً : الشجاعة والإقدام

رابعاً : حافظ السر

خامساً : الفصاحة والبلاغة

سادساً : الحكمة والعقل

سابعاً : الذكاء والفطنة

فقَدرُ المبعوث النسيب عند الملك أو الأمير، ليس كغيره كالعبد أو المولى، فلغة الملوك لا تفهم من هذا إلا التقدير والاحترام، والنسيب يرده شرفه عن الكذب والخيانة إن اعترى لإيمانه ضعفا، وما قصة سفيان مع هرقل بخافية علينا، وأما الأسبقية في الإسلام ففيها الفهم العميق للإسلام وتمثله علماً وعملاً، والفقه الراسخ في الدعوة إليه وما الرسل إلا دعاة إلى الله، وأما الشجاعة والإقدام فهي جَسارة وعزيمة يحتاجها الرسول في كل ما يلقاه من مخاطر وصعوبات، ويحتاجاها أيضا عندما يضع أول قدم في بلاط الملك فقوته قوة الدولة والمُرسل، وأما حفظ السر فهو أكبر أمان يستودعه المُرسَل رسوله، وبضياعه تضيع الوديعة أو تفسد، وأما الفصاحة والحكمة والفطنة فهي أدوات الرسول ومنجياته من مزالق إن أحسن صنعها، وإلا فسيقع ضحية للكيد والمكر الخفي، وهي لغة التخاطب العالمية، وإتقان تلك المهارة اللغوية، يعد موطن قوة الرسول ومصدر عزّ الدولة .

*****

المبحث الثالث

المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية

وتحته مطلبان :

المطلب الأول

التوقيت المناسب في مراسلات النبي ﷺ

كان لصلح الحديبية بين النبي ﷺ وكفار قريش ومن والاهم، فتحاً عظيما للدعوة، وفرصة سانحة لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، فقد أراح الله المسلمين من عناء القتال، وخوض المعارك المنهكة، وأتيحت الفرصة للنبي ﷺ لتوسيع نطاق الدعوة داخل الجزيرة وخارجها من جهة، وقطر الدولة داخل الجزيرة من جهة أخرى، ولقد كان الفرس يحتلون أجزاء كبيرة من جنوب الجزيرة ، وكان الرومان يحتلون أجزاء أخرى من شمالها، كقوتين عظيمتين تمتلكان نفوذا كبيرا على أقاليمهما، وبطبيعة الحال ولقاعدة المغلوب يتبع الغالب حتى في الديانة، انتشرت ديانة المحتلِّين في الأقاليم التي أخضعوها لنفوذهم، فسادت المجوسية في الأقاليم التابعة للفرس، والنصرانية في الأقاليم التابعة للروم، وكان أمراء هذه الأقاليم يعيَّنون من قبل الدولة الحاكمة وينصاعون لأوامرها، فرأى النبي ﷺ أن الوقت قد حان لأن يبادر في الإرساليات وأن يكتب إلى ملوك الدول الكبرى وإلى أمراء الولايات المحتلة وإلى سائر زعماء عصره، يدعوهم إلى الإسلام ويبدد ظلمة الاستبداد السياسي التي كانت تخيم على جزيرة العرب وعلى العالم أجمع، فكان صلح الحديبية بداية للمد الإسلامي، وفتحا عظيما كما سماه الله (١).

ثم إن النبي ﷺ علم أنه مقدم على عمل جسيم ومهمة كبيرة لا يصلح لها إلا القلة القليلة من الصحابة، ممن يحملون امتيازات ليست عند غيرهم، جمع الصحابة رضي الله عنهم

---

(١) انظر : عالمية الإسلام للطويلة والحلواني ٨٧ (بتصرف) .

وقال لهم – كما في حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه-:((إن الله بعثني رحمة للناس كافة، فأدوا عني رحمكم الله، ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام؛ فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه، فأما من قرب مكانه فإنه أجاب وأسلم، وأما من بعد مكانه فكرهها، فشكا عيسى بن مريم ذلك إلى الله – عز وجل – فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وجه إليهم، فقال لهم عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فافعلوا)) فقال أصحاب رسول الله ﷺ : نحن يا رسول الله نؤدي عنك فابعثنا حيث شئت، فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب هجر، وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني جلندا ملكي عمان، وبعث دحية الكلبي إلى قيصر، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فرجعوا جميعا قبل وفاة رسول الله ﷺ غير العلاء بن الحضرمي فإن رسول الله ﷺ توفي وهو بالبحرين".(١)

قال ابن سعد من طريق شيخه الواقدي :"إن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام وكتب إليهم كتبا.. – إلى أن قال– فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد ، وذلك في المحرم سنة سبع ، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم ، فكان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي"(٢)

وفي بيان الستة يقول ابن القيم : "لما رجع من الحديبية، كتب إلى ملوك الأرض، وأرسل إليهم رسله، فكتب إلى ملك الروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابا إلا إذا كان مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٥،٣٠٦/٥ : رواه الطبراني، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف.

(٢) الطبقات الكبرى ١/ ٢٥٨ .

فأولهم عمرو بن أمية الضمري ﷺ، بعثه إلى النجاشي، واسمه أصْحَمَة بن أبجر، وتفسير "أصْحَمَة" بالعربية: عطية، فعظم كتاب النبي ﷺ، ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، وكان من أعلم الناس بالإنجيل، وصلى عليه النبي ﷺ يوم مات بالمدينة وهو بالحبشة، هكذا قال جماعة، منهم الواقدي وغيره . .

وبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، واسمه هرقل، وهم بالإسلام وكاد، و لم يفعل، وقيل: بل أسلم، وليس بشيء .

وقد روى أبو حاتم ابن حبان في "صحيحه" عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة؟" فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: "وإن لم يقبل" . .، وكتب إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ: "كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية" وقسم الدنانير .

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، واسمه أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، فمزق كتاب النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "اللهم مزق ملكه" فمزق الله ملكه، وملك قومه .

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، واسمه خريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط، فقال خيرا، وقارب الأمر و لم يسلم، وأهدى للنبي ﷺ مارية، وأختيها سيرين وقيسرى، فتسرى مارية، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وأهدى له جارية أخرى، وألف مثقال ذهبا، وعشرين ثوبا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل، وحمارا أشهب، وهو عفير، وغلاما خصيا يقال له: مابور. وقيل: هو ابن عم مارية، وفرسا وهو اللزاز، وقدحا من زجاج، وعسلا، فقال النبي ﷺ: "ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه".

وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء، قاله ابن إسحاق والواقدي. قيل: إنما توجه لجبلة بن الأيهم، وقيل: توجه لهما معا، وقيل: توجه لهرقل مع دحية بن خليفة، والله أعلم .

وبعث سليط بن عمرو إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة، فأكرمه، وقيل: بعثه إلى هوذة وإلى ثمامة بن أثال الحنفي، فلم يسلم هوذة، وأسلم ثمامة بعد ذلك، فهؤلاء الستة قيل: هم الذين بعثهم رسول الله ﷺ في يوم واحد" (١).

(١) زاد المعاد ١/١١٩-١٢٢ .

المطلب الثاني
فوائد المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية

الفائدة الأولى : إن إرسال النبي ﷺ ستة أشخاص في يوم واحد يعد عملا دبلوماسيا رائعا، ويدل على أن النبي ﷺ كان على علم بالواقع السياسي و لديه الدراية الكاملة بالقواعد الدبلوماسية المتَّبعة آنذاك، وذلك أن القانون الدولي المعاصر يعد الدول أشخاصا قانونية متساوية فلا يجوز تفضيل دولة على أخرى، وإن اختلفت في عدد السكان والمساحة والقوة الاقتصادية أو العسكرية، وإن إرسال رسل النبي ﷺ في وقت واحد يعني أنه لم يفضل دولة على أخرى وعامل الجميع على قدم المساواة، فلو أرسلهم متواترين واحدا بعد آخر لكان ذلك يعني أنه قد فضل دولة على أخرى، فيكون تجاوب هذه الدول بحسب أسبقية تقديرها، ولهذا فإن النبي ﷺ قد رسّخ مبدأ من مبادئ القانون الدولي المعاصر، وهي أن الدول أشخاصا قانونية متساوية لا فضل لأحدها على الأخرى .

الفائدة الثانية : النبي ﷺ لما علم أنه مقدم على عمل جسيم ومهمة كبيرة، قد تودي بحياة أصحابه وتقضي على دولة الإسلام الفتية، بتلك الإرساليات إلى الدول الكبرى والتي من المحتمل أن تتألب عليها وتجتمع ضدها فتبيدها في مهدها، جمع الصحابة رضي الله عنهم وحثهم ورغبهم ورهبهم، وأعلمهم أن المهمة الكبرى هي البلاغ، وهي مهمة الرسل أجمعين، وأن كل مشقة تُحتمل إن كانت في سبيلها، ومن هنا شد النبي ﷺ من أزرهم، واتخذ منهم قوة تضرب في الأرض ولا تخشى أحدا، وحيث أن العزائم والهمم مرتفعة بعثهم النبي ﷺ سِراعاً إذ لا يَحسُن التأخير .

الفائدة الثالثة : عنصر المباغتة عنصرٌ فعال في اللغة السياسية، وفي لغة المعارك الهجوم قوة لا كالدفاع، وقد أتقن ﷺ ذلك وأجاد الصنعة، ففي حال الهدنة مع مشركي العرب، وحيث القتال قد أوقف إلى أمد، سارع النبي ﷺ في الإرساليات في وقت واحد، وتحمل موضوعا وهدفا واحداً، وإلى أصقاع متفرقة تعدت حدود جزيرة العرب، والدول مشغولة بنفسها، إذ تدق على أبوابها رسالة من بدو عزّل، وفي أسلوب رفيع، تحمل في طياتها طرحا

لم تعتاده تلك الدول فيما بينها، رسالة لطيفة تحمل في طياتها قوة جراره، كل هذه العوامل لما أحسن التوقيت المباغت، آتت الرسائل أكلها، ففرضت تلك الدول على أقل تقدير احترامها لتلك الدولة الفتية، بل غالب الدول المستهدفة إما أسلمت أو سالمت وكفت شرها، وجرت بينهما هدايا وأعطيات عنوان صداقة واحترام، تلك هي ثمرة المباغتة في الإرساليات .

الفائدة الرابعة : (ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام) تلك هي وصية النبي ﷺ لأصحابه قبل أن تنطلق البعوث، وحيث أن الصحابة بشر يعتريهم ما يعتري البشر من اختلاف أيا كان منشأه، كلّمهم النبي ﷺ جميعا بلسان واحد، وفي صعيد واحد، حتى لا تختلف الكلمات فتختلف الفهوم ويحدث ما كان يخشى، ومع ذلك فإن النبي ﷺ مع بعثهم بالدعوة كتب لهم كتبا بذلك، ثم إن العاقبة لأصحابه مخفية عنده ﷺ، فمنهم من قد يقتل، ومنهم من قد يحبس ومنهم ومنهم، وقد حصل شيء من هذا، ولو كان النبي ﷺ قد أرسلهم أرْسالا واحدا تلو الآخر، ثم علم بمصير أخيه، فإنه قد يدخله الخوف أو التردد أو أي شيء مما يعوقه عن أداء المهمة التي أوكل بها، ومن هنا يتبين لنا الهدف من وراء مبادرة النبي ﷺ في الإرساليات وبدفعة واحدة .

*****

المبحث الرابع
المكاسب السياسية للرسائل النبوية

إن رسائل النبي ﷺ إلى ملوك وأمراء عصره، لها كبير الأثر، وأعظم المكاسب في الساحة السياسية، ومنها ما يلي :

١- من أعظم المكاسب التي يجب أن تذكر هنا هي إسلام ثالث ملك أعظم دولة بعد دولة الروم والفرس إنه أَصْحَمَة النجاشي ملك الحبشة وعظيمها، وإن فاتته صحبة النبي ﷺ فإن صلاة خير من وطئ الثرى ﷺ قد لحقته ، وما ظنكم برجل صلى عليه النبي ﷺ، ودعا له بالرحمة والغفران! .

٢- ومن المكاسب أيضا، هو الإعلان للعالم أن دولة جديدة قامة في المشرق مركزها المدينة النبوية، ودينها الإسلام كأعظم مقوم من مقوماتها، والتي به فتحت الأمصار وكنست حضارة الغرب، لتحل محلها حضارة الإسلام دين الرحمة والسلام .

٣- هذه الرسائل النبوية أرست مبادئ، ورسخت قواعد دبلوماسية أجمعت عليها دول العالم وفرضته بينهم قانونا لا تجوز مخالفته، ومازالت وإلى اليوم هذه الرسائل النبوية منبعا عذبا ومحط أنظار السياسيين، إنها معجزة الإسلام الخالدة .

٤- افترقت ردود أفعال الملوك والأمراء للرسائل النبوية، يمكن حصرها في إما الاستجابة والإسلام، أو المسالمة وطلب الود والصداقة، أو غضب ناشئ عن خوف لم يتعدى محيط قصره، وكلها تصب في مصلحة التفرغ لإقامة وتكوين دولة الحضارة الكبرى دولة الإسلام .

٥- لقد بينت الرسائل النبوية أن الإسلام دين رسالة وسلام وليس هدفه تهديد الملك وإزالته وإنما هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالرسائل أشعرت الملوك بأن الإسلام لا ينازعهم في ملكهم إذا ما أسلموا وحكموا بحكم الإسلام .

٦- أشعرت الدولة الإسلامية الملوك والأمراء بأن الإسلام دين حضارة ومعاصرة ويستخدم الوسائل الدبلوماسية لمعالجة الأمور بين الدول وأنه لم يلجأ للقوة العسكرية مباشرة .

٧- إن مخاطبة الملوك والأمراء تقلل من حقنهم وحقدهم على الإسلام فهو وإن كان له موقف ثابت فإن عدم إشعاره أو الطلب منه قد يفسره عدم الاهتمام به، ولذلك كان بعض الملوك رغم عدم إسلامهم إلا أنهم أكرموا الرسل وردوا ردا جميلاً كما فعل هرقل والمقوقس وغيرهم.

٨- لقد شعر الملوك والأمراء أن الإسلام دخل إلى دولهم عن طريقهم، وهو الباب الصحيح الذي يستطيعون ترتيبه وتنظيمه بأنفسهم، فلو تجاهلهم الإسلام لكان لهم موقف معاد للإسلام.

٩- إن الملوك الذين وقفوا موقفا معاديا مثل كسرى، فإن المذكرة التي أرسلت إليه، قد فعلت فعلها، فقد أشعرته بأن هناك قوة من داخل الوطن العربي تهدد نفوذه في المنطقة، خاصة وأن للفرس خبرة بأن الخطر يحدق بهم من أرض الوطن العربي عندما كان البابليون يهددون حكمهم.

١٠- كان من نتيجة نجاح المذكرات النبوية في مخاطبة الملوك والأمراء أن استمر تبادل المذكرات الدبلوماسية حتى بعد دخولهم الإسلام فأصبحت المذكرات الدبلوماسية الوسيلة الوحيدة للتوجيه ومعالجة الأمور .

١١- تمكن النبي ﷺ بواسطة الرسل من معرفة أحوال الدول التي أرسل إليها الرسائل الدبلوماسية، وأصبح لديه العلم والدراية حول ما يحيط به .

١٢- وأيضا كان نقل المذكرات الدبلوماسية بواسطة الرسل، قد وفر لهؤلاء الرسل خبرة عن الدول التي حملوا إليها الرسائل، مما تطلب من النبي محمد ﷺ أن يعين بعض رسله ولاة على هذه الدول .

١٣- إن الرسالة النبوية حققت انتشار الإسلام في أرجاء متعددة، بعيداً عن مركز الدولة الإسلامية المدينة وهذا الانتشار حققته الرسائل الدبلوماسية .

١٤- إن استخدام الرسائل في نشر الإسلام خارج حدود المدينة المنورة، يعني بدء مرحلة عالمية الإسلام؛ لأن الإسلام ليس ديناً خاصاً بالعرب وحدهم بل هو دين عالمي [١].

---

(١) الفوائد من ٥-١٤ من : دبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي ٢٣٠،٢٢٩(بتصرف)

الفصل الثاني

مقارنة فقه السياسة الشرعية في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي بالقانون الدولي العام

وتحته ستة مباحث :

المبحث الأول : وظائف الرسل ومهماتهم، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الثاني : حصانة الرسل، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الثالث : آثار الاعتداء على الرسل، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الرابع : قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي

المطلب الثاني : مقارنة قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

المبحث الخامس : الاعتراف بالسيادة، وتحته مطلبان :

المطلب الأول : الاعتراف في القانون الدولي

المطلب الثاني : أنواع الاعترافات في الواقع الدولي المعاصر، ومقارنة ذلك بالفقه السياسي الشرعي

المبحث السادس : أساسيات في كتابة النص الرِّسالي، وتحته ثمانية مطالب :

المطلب الأول : شعار المذكرة الدبلوماسية

المطلب الثاني : البدء بتعريف المُرسِل

المطلب الثالث : طريقة نقل المذكرات الدبلوماسية

المطلب الرابع : تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه

المطلب الخامس : تحية المُرسَل إليه

المطلب السادس : اللغة التي تُكتب بها المذكرات

المطلب السابع : وضع التاريخ على المذكرات

المطلب الثامن : ختم المذكرات

مدخل:

ليس بخاف على الجميع أن ثمة تغيرا كبيرا قد طرأ على العالم اليوم، ونُظما استُحدثت تواكب مجريات العصر، وهذه سنة الله جارية على خلقه بأن يسر لهم معيشتهم وأعطاهم من العقل والقوة ما يصنعون بهما نظاما يجمعهم، وحضارة ترفعهم إلى سُدَّة الأمر وأعلاه .

ومن تلك النُّظم نظام السفارة والسفراء، ففي القديم لم تكن الدول تتخذ لها سفارات دائمة في الدول المجاورة، بل كانت تنهج نهج السفارات المؤقتة ولغرض معين وتنتهي بانتهاء المهمة وانقضاء الغرض، بخلاف ما هو موجود الآن في المجتمع الدولي المعاصر بأن يكون لكل دولة سفارات دائمة في جميع الدول المعترف بها، لذا أصبحت لغة الرسائل فيما بينها قريبة جدا ونادرا ما تحاج الدولة إلى إرسال مبعوث خاص .

لذلك فإن أقرب ما يقارن به من النظم الحديثة هي اتفاقية البعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م بشكل أساسي، واتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م بشكل فرعي، ولذلك لن أرجع لاتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية إلا عند الحاجة، وسيكون ذلك من خلال عدة مباحث :

المبحث الأول
وظائف الرسل ومهماتهم

مدخل :

في عهد النبي ﷺ كان الرسل يرسلون في وقت محدد ولمهمة محددة هي الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة المحمدية إلى الناس كافة، أو على الأقل تأمين الطريق لهذه الدعوة المحمدية كي تصل إلى أكبر قدر من البشر وتنفذ إلى قلوبهم بعد أن عانوا نوعاً من الرِّق والعبودية التي فرضها عليهم طواغيتهم الرؤساء والكبراء ، وفي هذا يضرب النبي ﷺ ورُسُله للعالم أروع الأمثلة في الوعي السياسي، والترفع عن الطمع والجشع، إلى السعي في بناء حضارة تمتد امتداد التاريخ وتتسع للبشر جميعا، ترشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة بإذن الله كما وعد الله .

المطلب الأول
وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي

أولاً : الدعوة إلى الله عزَّوجل :

إن الإسلام دعوة للبشرية جمعاء، ينبغي على المسلمين جميعاً أن يحملوا على كاهلهم هم هذه الدعوة وأن يبلغوها للعالمين، وهذه أهم وظيفة يقوم بها الرسول وهي الدعوة إلى الإسلام والحرص على هداية الناس، تأسياً بالنبي ﷺ حيث تمثَّلها علما وعملا، وامتثالا لوصاياه ﷺ لرسله ومبعوثيه، كما جاء في وصيته لعلي بن أبي طالب ﷺ حيث قال له ﷺ : ((انفذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم))(١) .

لقد كانت لسفارات النبي ﷺ أثرها في نشر الدعوة الإسلامية، حيث استجاب عدد منهم ودخلوا في الإسلام، وكشفت عن مواقف الآخرين من الدعوة، وهذا يحدد طبيعة علاقة الدولة الإسلامية بهم بعد ذلك، ولقد كانت رسائله ﷺ موجزة جامعة ، تبين وحدة الرسالات في أصولها ليكون هذا منطلقاً للدعوة، وإقامة الحجة على من يخاطبهم برسالته، ثم يضعهم أمام مسؤوليتهم عن الرعية ؛ لأن الرعية تبعٌ لهم، وتنطوي كل كتبه ورسائله ﷺ على القيم والمبادئ العالية في إطار الصياغة بالحكمة والموعظة الحسنة (٢) .

ثانياً : حمل الكتب والرسائل :

إن مما يقوم به الرسل والسفراء هو حمل رسالة شفوية أو كتابية من دولته إلى الدولة المضيفة، وهذه الوظيفة تحتل المركز الرئيس ضمن وظائف الرسل في القديم والحديث، حتى لا يذكر لفظ رسول أو سفير أو مبعوث عند أحد إلا وأول ما يتبادر إلى ذهنه أنه حامل رسالة

---

(١) رواه البخاري ٥/١٨: ك/ أصحاب النبي ﷺ ب/ مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، ح(٣٧٠١) .

(٢) انظر : العلاقات الدولية في الإسلام د.عثمان جمعة ضميرية١١٢،١١١ (بتصرف).

شفوية كانت أو خطية، ومما تقدم من رسائل النبي ﷺ وكتبه إلى الملوك والأمراء ورسالة النبي ﷺ إلى النجاشي على وجه الخصوص شاهدٌ على ذلك .

ثالثاً: تمثيل الدولة الإسلامية لدى الدول الأجنبية:

من المعلوم أن الرسول هو وكيل ونائب مَن أرسله، والوكيل يقوم مقام الموكِّل ما دامت الوكالة قائمة، ومن هنا نجد أنه إن تكلم فإنه يتكلم بلسان الملك ويمثل دولته لدى الدول الأجنبية، والتمثيل السياسي يشمل كل شي ما من شأنه داخل في خصوص دولته .

قال السرخسي(١) – رحمه الله – :".. لأن جماعة المسلمين من أهل المنعة حيثما كانوا ورسولهم قائم مقامهم، فإذا أضاف الأمان إليهم كان صحيحاً، وكذلك الأمير أمانه صحيح حيث يكون أميراً؛ لأنه لا يكون أميراً إلا باعتبار المنعة، فلسان رسوله كلسانه في الإخبار بالأمان" (٢) .

رابعاً: التفاوض:

يتولى الرسول نيابة عن دولته، بالتفاوض في كل ما يهم الدولة في الموضوعات السياسية كعقد أمان، أو هدنة، أو إبرام معاهدة ونحو ذلك، كما في بعث النبي ﷺ عمير بن وهب رضي الله عنه إلى صفوان بن أمية بعد فتح مكة بالأمان، أو التفاوض في الشؤون الاقتصادية والإدارية وتقريب وجهات النظر في المسائل المشتركة(٣)، وتسمى في الفقه الإسلامي

---

(١) هو محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر، شمس الأئمة: قاض، من كبار الأحناف، مجتهد، من أهل سرخس (في خراسان) . أشهر كتبه " المبسوط – " في الفقه والتشريع، ثلاثون جزءا، أملاه وهو سجين بالجب في أوزجند (بفرغانة) وله " شرح الجامع الكبير للإمام محمد " و" شرح السير الكبير للإمام محمد " وهو شرح لزيادات الزيادات للشيباني، و" الأصول " في أصول الفقه، وغيرها، وكان سبب سجنه كلمة نصح بها الخاقان ولما أطلق سكن فرغانة إلى أن توفي فيها سنة ٤٨٣هـ . انظر الأعلام للزركلي ٣١٥/٥ .

(٢) شرح السير الكبير للسرخسي ٤٦/٢ .

(٣) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام لسهيل الفتلاوي ٥٣٤ .

المراوضة[١]والمفاوضة ويشهد لهذا، المفاوضة التي كانت بين النبي ﷺ وكفار قريش لعقد صلح الحديبية .

خامساً: الإطلاع على الأحوال والتطورات وإعطاء المعلومات:

من أهم وظائف السفراء قديما وحديثا، هو الاطلاع على ما يجري في الدولة المُستقْبِلة وجمع المعلومات من تلك الدولة سواء كانت معلومات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية أو غيرها، ومن ثم نقلها للدولة المعتمدة عن طريق إرسال التقارير، ولهذا فإن لكل بعثة دبلوماسية حق الاتصال بدولتها لنقل الأحوال والتطورات إليها، على تنوع الوسائل والطرق قديما عبر الرُّسل والكتب، وحديثا عبر أجهزة الاتصال الحديثة والتي يُسمح بنصبها داخل مقر السفارة، كما تُنقل هذه المعلومات عن طريق الحقيبة الدبلوماسية التي يتمتع حاملها بالحماية والحصانة، شريطة أن يتم الحصول على هذه المعلومات بالطرق المشروعة وليس عن طريق التجسس؛ لأن السماح للدول بنقل هذه المعلومات يعود إلى أن العلاقات الدولية تقوم على أساس المصالح وأن للدولة المعتمدة أن تعرف مثلاً الوضع الاقتصادي في الدولة المعتمد لديها من أجل تحديد تعاملها الاقتصادي معها ، غير أن بعض الدول استغلت هذا السماح للتجسس على الدولة الأجنبية، وإذا ما ثبت أن أحد أفراد السفارة قام بالتجسس فإن الدولة المعتمد لديها هذا الفرد يحق لها أن تعده شخصاً غيرَ مرغوب فيه [٢] [٣] .

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب١٦٢/٧: "وفلان يراوض فلانا على أمر كذا أي يداريه ليدخله فيه وفي حديث طلحة (فتراوضنا حتى اصطرف مني وأخذ الذهب) أي تجاذبنا في البيع والشراء". قال: السرخسي في شرح السير الكبير ٣٧/٢: "باب المراوضة على الأمان بالجعل وغيره"

وانظر: زاد المعاد٣/ ٢٧٣ وغيره من كتب الفقه والسير .

(٢) تنص المادة الخامسة من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م الفقرة (ج) على "التعرف بكل الوسائل المشروعة إلى الأحوال التجارية والاقتصادية والثقافية والعلمية وتطويرها في الدولة المضيفة ووضع التقارير عن هذا الموضوع لحكومة الدولة الموفدة وتزويد أصحاب المصالح بالمعلومات" .

(٣) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام ، د/ سهيل الفتلاوي ٥٣٥؛ ومبادئ القانون الدولي العام د/ جعفر عبد السلام ٤٧١؛ ومبادئ القانون الدولي وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية د/ منصور الدالوك ٣٣٢ .

سادساً: حماية مصالح الدولة:

يقوم الرسول بحماية مصالح دولته ومصالح رعاياها ضمن الحدود التي يقرها القانون الدولي العام، ففي حالة تعرض دولته لانتهاك في مصالحها الاقتصادية أو السياسية، أو المس بها عن طريق الصحف والتصريحات، فإنه يبادر الرسول باتخاذ الإجراءات المشروعة لحماية مصالح دولته ، غير أن ذلك لا يصل إلى حالة التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الأجنبية (١) (٢).

(١) تنص المادة الخامسة من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م الفقرة (أ) على "حماية مصالح الدولة الموفدة ومصالح رعاياها في الدولة المضيفة وذلك في الحدود التي يسمح بها القانون الدولي".

(٢) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام ٥٣٦ .

المطلب الثاني

مقارنة وظائف الرسل في الفقه السياسي الشرعي ، بما يقابله في القانون الدولي العام

إن وظيفة الرسل ومهمتهم الأساسية في الفقه السياسي الشرعي، هي حمل لواء الدعوة إلى الله عز وجل وتبليغ الرسالة إلى الناس كافة، مع ما يأتي تبعاً لذلك من حمل الكتب والرسائل وإجراء المفاوضات وتمثيل الدولة وغيرها مما سبق ذكره .

أما في القانون الدولي المعاصر فإن الوظائف للبعثات الدبلوماسية كلها تصب في حماية مصلحة الدولة المُوفِدة في المقام الأول، ثم الدولة المُستقبِلة بالمقام الثاني في صورة دنيوية بَحتة، لا ترقى إلى ماوراء ذلك من بناء الآخرة والنعيم المقيم هناك، بخلاف فلسفة الإسلام في قيام الدول وبناء الحضارات، والتي تقوم على أساس إنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

وفي القانون الدولي المعاصر أيضا قد تشعبت وتعددت وظائف البعثات الدبلوماسية، مما يمكن إفرادها في مؤلف خاص لذا يصعب حصرها هنا، ثم إنها لم تعد مؤقتة بل تحولت إلى سفارات دائمة مادامت الدولة المبتعثة قائمة، مما يزيد من أعباء السفراء ومهماتهم، ولذلك كله أصبح هناك فرق في وظائف الرسل بين الفقه السياسي الشرعي ، وبين القانون الدولي المعاصر في تعدد الوظائف وتنوع المهام .

المبحث الثاني
حصانة الرسل

وتحته مطلبان :

المطلب الأول
حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي

أحاط الإسلام شخصية الرسول أو السفير الذي يفد إلى دار الإسلام بالأمان التام والرعاية الكاملة، حيث يتمتع بعصمة الدم واحترام النفس بمجرد دخوله إليها وقبل استقباله من إمام المسلمين وخليفتهم ، ويستفيد الرسول هذه الامتيازات والأمان من كونه رسولا كما يستفيد ذلك من عقد الأمان صراحة أو ضمنا .

وتظهر مكانة السفير وما يتمتع به من أمان واحترام في استقبال النبي ﷺ للسفراء والرسل الذين كانوا يفدون عليه لأغراض شتى ، ففي صلح الحديبية عندما ورد عليه عدد من سفراء قريش كان من بعضهم تطاول على مجلس رسول الله ﷺ مثل عروة بن مسعود الثقفي الذي حاول أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يمنعه من ذلك فيرده إلى صوابه، ومنعهم النبي ﷺ أن يمسوه بسوء مع أن قريشا عقرت مطية سفيره إليها ، إلى غيرها من تلك القصص وهذا جانب من مظاهر الحضارة الإسلامية التي تعترف للسفير بالأمان أو الحصانة(١) .

ولقد جاءت الآيات والأحاديث مؤكدة لذلك :

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:٦] ، وهي أصل في هذا الباب.

(١) انظر: أصول العلاقات الدولية د/ عثمان ضميرية ٨٤٦-٨٤٨ .

قال الماوردي : " قيل : إنها في المُرسَل فيكون له بالرسالة أمان على نفسه وماله ، لا يحتاج معها إلى استئناف أمان .."(١)

"ومما لاشك فيه، أن الله عز وجل أمر بإجارة من استجار حتى يسمع كلامه سبحانه وتعالى، وأدنى مراتب الأمر الجواز؛ فهذه الآية دالة على إعطاء الكافر الأمان إذا طلبه ليسمع كلام الله؛ فتكون دالة على مشروعية الأمان من حيث الأصل، وأمان الرسول أحد أفراده ولهذا أدخله عدد من فقهاء المفسرين في دلالة الآية، إلحاقا بجامع علة التعليم الدين ونشر دعوته"(٢) .

ومن السنة حديث نعيم بن مسعود الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما(٣) حين قرأ كتاب مسيلمة((ما تقولان أنتما؟)) قالا: نقول كما قال. قال: ((أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما))(٤) .

قال السرخسي – رحمه الله – : "لو أن رسول ملك أهل الحرب جاء إلى عسكر المسلمين فهو آمن حتى يبلغ الرسالة، بمنزلة مستأمن جاء للتجارة، لأن في مجيء كل واحد منهما منفعة للمسلمين"(٥) .

وقال أيضا : " فإن وجد المسلمون رجلا من أهل الحرب في بلاد المسلمين فقال: أنا رسول الملك دخلت بغير أمان، فإن كان معروفا بالرسالة، أو أخرج كتاب الملك معه إلى الخليفة فهو آمن؛ لأن ما لا يمكن من الوقوف فيه على الحقيقة يجب العمل فيه بغالب الرأي"(٦) .

وقال الأعشى– رحمه الله في أثناء كلامه عن أركان صحة عقد الأمان للكافر –: "الثالث صيغة العقد وهي كل لفظ يفهم الأمان كناية كان أو صريحا وفي معنى ذلك الإشادة

---

(١) الحاوي الكبير للماوردي ٣٣٩/١٤ .

(٢) فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية د.سعد العتيبي ٤٨٥ .

(٣) يعني : رسولي مسيلمة الكذاب .

(٤) أخرجه أبو داود٨٤/٣: ك/ الجهاد ب/ في الرسل، ح (٢٧٦١) ، وصححه الألباني.

(٥) شرح السير الكبير للسرخسي ٧٢/٢ .

(٦) شرح السير الكبير للسرخسي ٦٨/٥ .

المفهمة، ويعتبر فيه قبول الكافر فلا بد منه حتى لو رد الأمان لم ينعقد، وفيما إذا سكت خلاف، نعم لو دخل للسفارة بين المسلمين والكفار في تبليغ رسالة ونحوها أو لسماع كلام الله تعالى لم يعتبر فيه عقد الأمان؛ بل يكون آمنا بمجرد ذلك.. "(١) .

وقال ابن قدامة – رحمه الله– : "ويجوز عقد الأمان للرسول والمستأمن،لأن النبي ﷺكان يؤمن رسل المشركين، ولما جاءه رسولا مسيلمة قال : ((لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما)) ، ولأن الحاجة تدعو إلى ذلك فإننا لو قتلنا رسلهم لقتلوا رسلنا فتفوت مصلحة المراسلة"(٢) .

وكذلك لا يجوز حبس الرسول أو السفير ومنعه من العودة إلى بلاده، كما في حديث أبي رافع رضي الله عنه قال: بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ ، فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله إني والله لا أرجع إليهم أبدا، فقال رسول الله ﷺ ((إني لا أخيس بالعهد(٣) ولا أحبس البُرُد(٤)، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن الآن فارجع)) قال: فذهبت، ثم أتيت النبي ﷺ فأسلمت(٥) .

فالحديث نص على أن الرسول لا يحبس ولا يمنع من العودة إلى بلاده عند انتهاء مهمته؛ لأن الرسالة تقتضي أن يعود إلى بلاده لِيُبْلغ دولته عن جواب رسالتهم .

قال الشوكاني – رحمه الله – : "إن الحديث الأول : ((لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)) يدل على تحريم قتل الرسول الواصلين من الكفار وإن تكلموا بكلمة الكفر في حضرة الإمام أو سائر المسلمين، والحديث الثاني :((إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُدَ...)) يدل أيضاً على أنه يجب الوفاء بالعهد للكفار كما يجب للمسلمين؛ لأن الرسالة تقتضي جواباً يصل على يد الرسول فكان ذلك بمنزلة عقد العهد"(٦) .

---

(١) صبح الأعشى ١٣/ ٣٢٢ .

(٢) المغني لموفق الدين ابن قدامة ٤٢٨/١٠ .

(٣) أي لا أنقض العهد .

(٤) أي لا أحبس الرسول لأن البُرُدَ : جمع بريد وهو الرسول .

(٥) أخرجه أبو داود٨٢/٣:ك/ الجهاد ب/ في الإمام يُستجنّ به في العهود، ح(٢٧٥٨)، وصححه الألباني.

(٦) نيل الأوطار للشوكاني ١٨٢/٨ .

أما في القانون الدولي المعاصر : يتمتع المبعوث الخاص بالحصانة في أمور ثلاث :

أولها : الحصانة والحرمة الشخصية، وتعني الحرمة الشخصية في القانون الدولي أن شخصية المبعوث الدبلوماسي مصونة لا يجوز انتهاكها ويجب معاملته بصورة لائقة دون استعمال وسائل العنف ضده(١)، فلا يجوز تقييد حريته أو حجزه أو منعه من أداء عمله السياسي، وعلى الدولة أن تأخذ الإجراءات المناسبة لحمايته من أي اعتداء يتعرض له ومن أي جهة كانت .

ثانيها : الحصانة المالية وذلك بأن تتمتع أمواله الخاصة بالحماية فلا يجوز التعرض لها أو الحجز عليها أو وضع اليد عليها من قبل السلطات أو المواطنين، وتشمل الحماية أيضاً أوراقه ومراسلاته وذلك بعدم الاطلاع عليها أو خضوعها للرقابة المحلية (٢) (٣).

ثالثها : الحصانة القضائية، وتعني حماية المبعوث السياسي من الملاحقات المدنية الخاصة بعمله الرسمي(٤) .

---

(١) نصت المادة (٢٩) من اتفاقية البعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م على (حرمة شخص المبعوث الدبلوماسي وأنها مصونة، ولا يجوز إخضاعه لأية صورة من صور القبض أو الاعتقال، وعلى الدولة المستقبلة معاملته بالاحترام اللائق واتخاذ جميع التدابير المناسبة لمنع أي اعتداء على شخصه أو حريته أو كرامته).

(٢) نصت المادة (٣٠) فقرة (٢) من اتفاقية البعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م على أنه (تتمتع بالحصانة أوراقه ومراسلاته، كما تتمتع بها أمواله).

(٣) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام ، د/ سهيل الفتلاوي (بتصرف) ص٥٤٣-٥٤٦؛ والقانون الدولي العام د/ محمد المجذوب ص٦٣٣ ؛ مبادئ القانون الدولي وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية د/ منصور الداموك ص٣٢٠؛ مبادئ القانون الدولي العام د/ جعفر عبدالسلام ص٤٧٥ .

(٤) كما نصت عليه المادة (٢٩،٣٠) من اتفاقية البعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م .

المطلب الثاني

مقارنة حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

في الفقه السياسي الشرعي يتمتع الرسول والسفير بالحصانة التامة والأمان الكامل، لما سبق من قول النبي ﷺ : ((إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُدَ...))[١]، ولقوله ﷺ ((أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما))[٢]، مع أنهما تكلما بكلام لا يليق بمقام النبوة مما يستوجب القتل، فهذه الأحاديث وما جاء حولها من كلام أهل العلم، تدل دلالة واضحة على مكانة الرسل ومنحهم الأمان والحصانة، وعدم قتلهم وإيذاءهم بأي أنواع الإيذاء ولو صدر منهم ما يوجب ذلك، لأنهم رسلٌ وسفراء لملوكهم أتوا لمهمة الرسالة ونقل الجواب لهم، وفي قتلهم أو إيذاءهم تفويت وإعاقة لهذه المهمة .

قال السرخسي -رحمه الله- : "فتبين بهذا أن الرسول آمن من الجانبين، هكذا جرى الرسم في الجاهلية والإسلام، فإن أمْر الصلح أو القتال لا يلتئم إلا بالرسول، ولابد أن يكون الرسول آمناً ليتمكن من أداء الرسالة "[٣] .

وأما في القانون الدولي المعاصر: "فتشعبت الآراء في أساس الحصانات للدبلوماسيين إلى ثلاث نظريات: نظرية امتداد الإقليم، ونظرية الصفة النيابية أو التمثيلية، ونظرية مقتضى الوظيفة، والنظرية الأولى نظرية افتراضية، لا سند لها في تبرير الحصانات، والنظرية الثانية لا تعطي تفسيرا أو أساسا للحصانات، فهي بدورها تحتاج إلى أساس مع ما في كل من النظريتين من ابتعاد عن منطق الواقع وتناقض مع أحكام الإسلام ولذلك كانت النظرية

---

(١) سبق تخريجه ص٩١.

(٢) سبق تخريجه ص٩١.

(٣) شرح السير الكبير للسرخسي ٢٠٨/١.

الثالثة أقرب النظريات إلى الفقه الإسلامي"[١]، ويعني هذا أن الرسول يتمتع بالحصانة بصفته رسولاً، إذا كان معه ما يثبت أنه رسول دون الحاجة إلى عقد أمان .

وبالمقارنة أيضا نجد أن القانون الدولي قاصر "عن أحكام السِّير في مسألة التجاوز عن السفير فيما يرتكبه من جرائم تعزيرية يجوز العفو عنها؛ إذ الحصانة الدبلوماسية القضائية في القانون الدولي تجعل المبعوث الدبلوماسي في مأمن من القضاء الجنائي في الدولة المضيفة بصفة مطلقة، ومهما ارتكب من جرائم وهذا غير سديد، ولا سيما أن المبعوث الدبلوماسي ملزم باحترام قوانين الدولة المستقبلة كما في المادة الحادية والأربعين من اتفاقية فيينا"[٢]، ويقول الإمام أبو زهرة في معرض حديثه عن الحصانة القضائية الممنوحة للمبعوث الدبلوماسي:" وإني أرى أن مصادر الشريعة ومواردها لا تسوغ الاتفاق على ترك المجرم الذي ارتكب ما يوجبها ليحاكم على أساس قانون آخر وبقاض آخر، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل أحكام الله تعالى في الأرض، وإذا تعاقد ولي الأمر على ذلك فعقده باطل"[٣]

وكذلك أيضا فإن الفقه السياسي الشرعي قد سبق القانون الدولي الحديث بتلك الامتيازات، والتي لم تفطن لها تلك الدول إلا في عام ١٩٦١م عندما أبرمت اتفاقية فيينا، وهذه الاتفاقية وغيرها مَدِينة للفقه السياسي الشرعي الإسلامي .

*****

(١) العلاقات الدولية في الإسلام د.عثمان جمعة ضميرية ١١٥ .

(٢) فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية د.سعد العتيبي ٦١١ .

(٣) العلاقات الدولية في الإسلام لمحمد أبو زهرة ٧٧ .

المبحث الثالث
آثار الاعتداء على الرسل

وتحته مطلبان :

المطلب الأول
آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي

الكلام تحت هذا المطلب هو كالكلام في مطلب حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي الذي سبق معنا بل هو مبني عليه، وما منح الإسلام الحصانة للرسل والأمان التام لهم إلا لأجل أن يقطع كل طريق من شأنه أن يخرم هذه الحصانة الممنوحة لهم بأي شكل وفي أي لون، ومن اعتدى فقد انتهك انتهاكا صارخا لأمر الله حيث يقول :﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:٦]، وأمر رسوله ﷺ االقائل : ((إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ..))[1] ، وما ينتظره في الآخرة من العقوبة أشد وأخزى وكفى بذلك رادعاً وزاجرا .

إن من أعظم القواعد التي اتفقت عليها جميع الدول، المسلمة والكافرة، الحديثة والقديمة، ودونوها في نُظمهم، هي الأمان التام للرسل فيما بينهم، فلا يجوز التعرض لهم بالأذى بجميع أنواعه، في السلم أو في الحرب .

لكن تحت تأثير شهوة السلطة أو غيرها من المطامع، قد يوجد اعتداء على الرسول إما بحبسه أو التهديد بقتله، وعندئذ يكون للدولة الموفِدة (دولة السفير) أن تتخذ من المواقف ما يعيد الأمر إلى نصابه، في تأديب أصحاب العدوان وقتالهم لتخليص السفير وإنقاذه من

(١) سبق تخريجه ص٩١ .

الأعداء[١]، ومما يستشهد لذلك غزوة مؤتة التي وقعت في السنة الثامنة للهجرة من عهد النبي ﷺ والتي كان سببها الاعتداء على رسول النبي ﷺ إلى ملك بُصرى وقتله[٢] .

لذلك يجب على الدولة المستقبلة حماية الرسول من الاعتداء عليه من قِبَل شعبها وذلك بأن تبادر على الفور باتخاذ الإجراءات اللازمة لدفع الاعتداء عنه ومحاسبة الأشخاص الذين تجاوزوا عليه .

ولا يقتصر اتخاذ الإجراءات بمعاقبة المعتدي على الرسول فقط، بل لابد من إصلاح الضرر الذي تعرض له بإعادة الحال إلى ما كانت عليه، وإن تعذر ذلك فلابد من تعويضه عن الأضرار المادية والمعنوية التي تعرض لها، والاعتذار له في جميع الأحوال عن الأضرار التي تعرض لها، ويحق للدولة الموفدة المطالبة بتعويضها عن الأضرار التي تعرض لها رسولها، وإلا جاز لها أن تتخذ الإجراءات ضد الدولة المستقبلة بتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل[٣] .

---

(١) انظر: العلاقات الدولية في الإسلام د.عثمان جمعة ضميرية١١٩ (بتصرف).

(٢) حيث إن النبي ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، فاشتد ذلك على النبي ﷺ وجهز جيش مؤتة . انظر: المغازي للواقدي ٧٥٥؛ وتاريخ الإسلام للذهبي٢/ ٤٧٩؛ وأسد الغابة١/ ٢١٦ .

(٣) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام ، د/ سهيل الفتلاوي (بتصرف) ص٥٤٦ .

المطلب الثاني

مقارنة آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام

لقد اتجهت الدول الحديثة على اختلاف أنظمتها السياسية إلى احترام شخص المبعوث الدبلوماسي ، ونصت عليه العديد من المعاهدات الدولية، منها اتفاقية منع ومعاقبة الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص المشمولين بالحماية الدولية لعام ١٩٧٤م، والتي أوجبت لهم الحماية طبقاً للقانون الدولي وذلك بحماية شخصه ومقره الرسمي ومسكنه الخاص ووسائل تنقله حمايةً خاصة ضد أي اعتداء على شخصه أو حريته أو كرامته(١)، وقد أوجبت الاتفاقية من الدول أن تصدر قوانين لمعاقبة الجرائم الآتية:

١ – القتل أو الاختطاف أو أي اعتداء آخر على شخص وحرية الشخص المشمول بالحماية الدولية .

٢ – الهجوم على المقر الرسمي أو محل السكن أو وسائل النقل .

٣ – التهديد بارتكاب أي من هذه الاعتداءات (٢) (٣) .

كل ذلك لأجل أن يتمكن السفير من أداء مهمته على أكمل وجه وبكل أمان وحرية، ولأجل أن لا تنشب حروبا طاحنة بين البلدين، تستنزف الموارد، وتبيد البشر، وتقضي على الخيرات، فمجرد الاعتداء على الرسول إيذان بقيام حرب بينهم .

وبعقد المقارنة بين الفقه السياسي الشرعي في آثار الاعتداء على الرسل وما يقابل ذلك في القانون الدولي العام: نجد أن هناك مشابهة كبيرة بين الفقه السياسي الشرعي وبين القانون الدولي المعاصر في آثار الاعتداء على الرسل، وحرمة شخصه وعدم المساس وإيقاع الأذى به وما منح الإسلام الحصانة للرسل وجرّم وعاقب كل منتهك للحصانة إلا من أجل هذا،

---

(١) المادة الأولى من اتفاقية منع ومعاقبة الجرائم المرتكبة ضد الأشخاص المشمولين بالحماية الدولية لعام ١٩٧٤م.

(٢) المادة الثانية من نفس الاتفاقية .

(٣) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام د/ سهيل الفتلاوي (بتصرف) ص٥٤٧ .

كل ذلك ما لم يَبدر من الرسول خيانة ومخالفة لنظام حقوق السفارة المتفق عليها بين الدولتين أو المجمع عليها بين الدول.

*****

المبحث الرابع
قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم

وتحته مطلبان :

المطلب الأول
قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:٦]، هذه الآية أصل في باب قواعد معاملة الرسل عموما وعند انتهاء مهمتهم على الوجه الخصوص .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : "يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، ﴿ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ أي: القرآن، تقرؤه عليه وتذكر له شيئا من أمر الدين تقيم عليه به حجة الله، ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده.. .

ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدا أو في رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم: عروة بن مسعود، ومكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو، وغيرهم واحدا بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم .

ولهذا أيضا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال له: ((أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟)) قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ : ((لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك))[١]...

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانا، أعطي أمانا ما دام مترددا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه.."[٢].

إن معاملة الرسل معاملة حسنة حق من حقوقهم، وهذا الحق لا ينتهي بانتهاء المهمة، بل يمتد حتى وصولهم إلى ديارهم تحقيقاً لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ ،ثم فعل ما اتفقت عليه الدول جميعاً، وهو أدب رفيع نحن أحق بامتثاله كمسلمين من غيرنا .

إن قواعد التعامل مع الرسل عند انتهاء مهمتهم كثيرة ومتشعبة، وفيها تداخل كبير بين الفقه السياسي الشرعي والقانون الدولي، يمكن تلخيصها في هذه النقاط :

أولاً : النفقة على الرسول عند عودته :

إذا أراد الرسول العودة إلى بلاده فطلب من الإمام أن يعطيه مالاً يتجهز به إلى بلاده ، فإنه ينبغي للإمام أن يعطيه من النفقة ما يبلغه إلى بلاده، وتكون هذه النفقة من بيت مال المسلمين[٣] .

ثانياً : حماية الرسول وإبلاغه مأمنه :

ينبغي لإمام المسلمين أن ينظر للرسول ويراعي مصلحته الأمنية بعد انتهاء مهمته، ولا يخلّي سبيله إلا في موضع لا يخاف عليه فيه، لأنه تحت ولايته وفي أمانه، وهو مأمور بدفع الظلم عنه ، أرأيت لو حمله معه في البحر، فلما انتهى إلى جزيرة أمن فيها، أينبغي له تركه في تلك الجزيرة؟ لا؛ ولكن يحمله إلى موضع لا يخاف عليه فيه الضيعة ثم يعطيه ما يكفيه لجهازه وحملانه ، وهذا يشبه ما لو طلب المستأمن الأمان على شرط أن يعرضوا عليه الإسلام لمدة

---

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير٤/١١٤،١١٣ .

(٣) انظر: شرح السير الكبير للسرخسي ٢/٧٣.

يراها حتى ينظر لنفسه، وانقضت المدة و لم يسلم، أنه يبلغ أدنى مأمن له من أرض الحرب[١]، فكذلك الرسول من باب أولى .

(١) المرجع السابق ٢/٥١٩ .

ثالثاً: منح الرسول مهلة للمغادرة:

" يُمنح الرسول عند انتهاء مهمته في الدولة الإسلامية مهلة للمغادرة دون أن تسقط عنه الامتيازات التي كان يتمتع بها بوصفه رسولاً لدولته، وهذه قاعدة عامة في التعامل مع المستأمَنين العاديين وتنطبق من باب أولى على الرسل والسفراء"(١) .

قال السرْخسي – رحمه الله – : "وإذا أطال المستأمن المقام في دارنا يتقدم إليه الإمام في الخروج، ويوقت له في ذلك وقتاً، ولا يرهقه على وجه يؤدي إلى الإضرار به؛ لأنه ناظر من الجانبين، فكما يمنعه من إطالة المقام بغير خراجٍ، نظراً منه للمسلمين، لم يرهقه في التوقيت بتقصير المدة نظراً منه للمستأمن، خصوصاً إذا كان له معاملات يحتاج في اقتضائها إلى مدة مديدة"(٢) .

وانتهاء المهمة يرجع إلى عدة أسباب من أهمها:

١- الاستقالة أو التقاعد أو الوفاة .
٢- انقضاء الأجل المحدد مسبقاً من الطرفين (الدولة الموفدة والمستقبلة).
٣- الاستدعاء : استدعاء السفير من قِبَل دولته وإنهاء مهمته .
٤- الطرد: طرد الدولة المستقبلة للسفير بعد وقوعه بأمر خطير يسيء إليها ، وتعتبره شخصاً غير مرغوب فيه.
٥- وفاة رئيس إحدى الدولتين (الموفدة والمستقبلة).
٦- تغيير نظام الحكم في إحدى الدولتين.
٧- قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين .
٨- اندلاع الحرب بين الدولتين.
٩- انتهاء المهمة التي أرسل من أجلها كتسليم الرسالة ونحوه.

فتلك هي أهم الأسباب التي تؤدي إلى انتهاء مهمة الرسول (٣)(٤) .

---

(١) العلاقات الدولية في الإسلام د.عثمان جمعة ضميرية١٢٢.
(٢) شرح السير الكبير للسرخسي ١٢٠/٥.
(٣) المادة (٢٠) من اتفاقية البعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م .
(٤) انظر: القانون الدولي العام ، د/ محمد المجذوب (بتصرف) ص٦٤٢-٦٤٧ .

ويستمر التمتع بالامتيازات والحصانات إلى حين انتهاء مهام عمله في الدولة المستقبلة ، ولم تحدد اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م مدة عمل السفير أو الرسول وتركت تحديد ذلك إلى التشريعات الداخلية للدول، وقد ذهبت غالبية الدول إلى أن الامتيازات والحصانات لا تنتهي بانتهاء أعماله، بل تستمر إلى فترة معقولة يستطيع بموجبها إنجاز أعماله الرسمية والخاصة قبل مغادرته الدولة المستقبلة (١) .

(١) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام، د/ سهيل الفتلاوي ص٦٠٤ – ٦٠٥؛ مبادئ القانون الدولي العام، د/ جعفر عبدالسلام ص٥٠٢ – ٥٠٦.

المطلب الثاني

مقارنة قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي ، بما يقابله في القانون الدولي العام

حاز علم الفقه السياسي الشرعي قصب السبق في رسم قواعد التعامل مع الرسل عند انتهاء مهماتهم، في أخلاقيات رفيعة وأدبيات سامقة، بعيدة كل البعد عن مساوئ الأخلاق و شرائر النفوس .

يقول سيد قطب -رحمه الله- في ظلال آية الاستجارة: "وحتى إذا لم تستجب (أي قلوب المشركين لكلام الله) فقد أوجب الله لهم على أهل دار الإسلام أن يحرسوهم بعد إخراجهم حتى يصلوا إلى بلد يأمنون فيه على أنفسهم!!! ولقد كانت قمة عالية تلك الإجارة والأمان لهم في دار الإسلام، ولكن قمم الإسلام الصاعدة ما تزال تتراءى قمة وراء قمة وهذه منها، هذه الحراسة للمشرك، عدو الإسلام والمسلمين ممن آذى المسلمين وفتنهم وعاداهم هذه السنين، هذه الحراسة له حتى يبلغ مأمنه خارج حدود دار الإسلام! إنه منهج الهداية لا منهج الإبادة ، حتى وهو يتصدى لتأمين قاعدة الإسلام للإسلام .

والذين يتحدثون عن الجهاد في الإسلام فيصمونه بأنه كان لإكراه الأفراد على الاعتقاد! والذين يهولهم هذا الاتهام ممن يقفون بالدين موقف الدفاع فيروحون يدفعون هذه التهمة بأن الإسلام لا يقاتل إلا دفاعا عن أهله في حدوده الإقليمية! هؤلاء وهؤلاء في حاجة إلى أن يتطلعوا إلى تلك القمة العالية التي يمثلها هذا التوجيه الكريم :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾"(١).

ولقد جاء القانون الدولي العام موافقا لتلك القواعد، إلا أنه قنَّنها وزاد فيها شرحا وإيضاحا .

---

(١) في ظلال القرآن ٣/١٦٠٣،١٦٠٢ .

المبحث الخامس
الاعتراف بالسيادة

وتحته مطلبان :

المطلب الأول
الاعتراف في القانون الدولي

هو عمل قانوني من أصعب وأعقد القضايا في القانون الدولي يتضمن قبول حالة معينة ويترتب على هذا العمل آثار قانونية معينة بالنسبة للمعترف والجهة المعترف بها (١) .

والدولة قبل أن تنشأ تحتاج إلى ثلاثة عناصر وهي: الشعب والإقليم والحكومة وإذا توفرت هذه العناصر فإن الدولة تصبح قائمة على الصعيد الداخلي لا الخارجي، وتكتسب جميع أعمالها وتصرفاتها الصفة الشرعية الداخلية، أما على الصعيد الخارجي، فلا يكفي توافر عناصر الدولة الثلاث لاكتساب صفتها القانونية الدولية، بل لابد من إجراء قانوني من قِبَل الدول الأخرى يمنحها هذه الصفة، ويطلق على هذا الإجراء بالاعتراف.

والاعتراف بالدولة هو التسليم من جانب الدول التي تتمتع بالشخصية القانونية الدولية بوجود هذه الدولة وقبولها كعضو في الجماعة الدولية، ويترتب على هذا الاعتراف قيام علاقة قانونية بين المعترف والمعترف به ، بحسب نوع وطبيعة الاعتراف(٢) ، وأقرب مثالٍ حيٍّ على ذلك هو اعتراف الشرعية الدولية بإقليم كوسوفو، حيث إن هذا الإقليم قد أعلن استقلاله عن صربيا على لسان رئيسها وذلك يوم الأحد الموافق ١٤٢٩/٢/١٠، ٢٠٠٨/٢/١٧م، وقد توالت الدول بالاعتراف بها كدولة قانونية مما ألبسها الصفة القانونية الدولية، ومن الدول من رفض هذا الاعتراف .

---

(١) انظر: قاموس بنغوين للعلاقات الدولية، غراهام إيفانز وجير نوينهام ٤١،نقلا عن رسالة النبي ﷺ إلى هرقل٨١.

(٢) انظر: الوسيط في القانون الدولي العام د/ سهيل الفتلاوي (بتصرف) ١٣٢ .

المطلب الثاني
أنواع الاعترافات في الواقع الدولي

للاعتراف بالدولة الناشئة أنواع متشعبة وعديدة، وقد اختلف الفقهاء القانونيون في تعدادها بحسب تفسيرهم لطبيعة الاعتراف هل هو اعتراف منشئ، أم اعتراف كاشف؟، وعلى أي حال فإن التطبيق العملي لمسائل الاعتراف بالدولة الجديدة يختلف في كثير من جوانبه عن اتجاهات الفقه(١)، ومن هنا تعددت الأشكال القانونية للاعتراف إلى أنواع عدة منها :

١- الاعتراف الصريح : وهو الإعلان المباشر الذي تعلنه الدولة بصورة رسمية والمتضمن الاعتراف بدولة معينة .
٢- الاعتراف الضمني: وهو الاعتراف عن طريق الدخول في علاقات دبلوماسية مع الدولة الجديدة، أو عقدت معها معاهدة سياسية.
٣- الاعتراف الفردي : وهو الاعتراف الذي يصدر من الدول بصورة منفردة بدون أن يكون هناك اتفاق بينها، وسواء أكان ذلك من تلقاء نفسها أو بناء على طلب الدولة الجديدة .
٤- الاعتراف الجماعي: وهو الذي يصدر من عدة دول على شكل معاهدة أو وثيقة تعترف فيه بدولة واحدة أو بمجموعة من الدول.
٥- الاعتراف القانوني: وهو الاعتراف من قبل دولة بدولة أخرى توافرت عناصرها الثلاث وليس هناك أي شك في أي من هذه الأركان.
٦- الاعتراف الإرادي: وهو الاعتراف الذي يصدر من الدولة بمحض إرادتها.
٧- الاعتراف المفروض: وهو الاعتراف الذي يأتي خلاف القواعد العامة في القانون الدولي، فيصدر من الدولة رغم إرادتها باستخدام وسائل ضغط عسكرية أو اقتصادية.

---

(١) انظر : القانون الدولي العام للفار ١١٢-١١٦ .

٨- الاعتراف المقيد: هو الاعتراف بدولة ما ولكن بشرط معين تنفذه تلك الدولة.

٩- الاعتراف غير المقيد: وهو اعتراف غير مقيد بشرط وهذا هو الغالب.

١٠- وهو اعتراف بدولة من ناحية وجودها على الواقع دون أن تتوافر فيها الشرعية القانونية (١) .

وعند المقارنة نجد أن النبي ﷺ اتخذ أسلوب الاعتراف الواقعي مع النجاشي أَصْحَمَة فوصفه بأنه عظيم الحبشة – وغيره من ملوك وأمراء عصره وصفهم بذلك- ، لا من باب الاعتراف الشرعي ولكن من باب الاعتراف الواقعي .

فقول النبي ﷺ : ((إلى النجاشي عظيم الحبشة)) يقول ابن حجر والنووي -عليهم رحمة الله- : "فيه عدول عن ذكره بالملك أو الإمرة؛ لأنه معزول بحكم الإسلام فلا ملك له ولا لغيره إلا بحكم دين الإسلام ولا سلطان لأحد إلا لمن ولاه رسول الله ﷺ أو ولاه من أذن له رسول الله ﷺ بشرط، وإنما ينفذ من تصرفات الكفار ما تنفذه الضرورة"(٢) .

---

(١) انظر: مبادئ القانون الدولي العام د/ جعفر عبدالسلام (بتصرف) ٣١٣ – ٣١٩؛ والقانون الدولي العام د/ محمد المجذوب ٢٠٥ – ٢١٥؛ ومبادئ القانون الدولي وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية د/ منصور الداموك ١٦٥.

(٢) فتح الباري ٣٨/١؛ والمنهاج شرح النووي على مسلم ١٠٨/١٢.

المبحث السادس
أساسيات في كتابة النص الرِّسالي

إن من أبجديات قيام دولة لها كيانها واستقلاليتها، أن تمتلك نظاماً يَسْري على جميع شؤونها الداخلية والخارجية، وبقدر قوة هذا النظام وصلاحيته تكون قوة الدولة وسِيادِيَّتُها، ومن تلك الأنظمة والأساسيات التي أوْلتها الدول أهمية بالغة، هي تلك المراسلات الخارجية لدى دول الجوار .

وإن كان الحديث قد سبق في التفسير السياسي لنص الرسالة[١]، وبيان ما فيها من المعالم السياسية العَلِيَّة، بزّت فيها جميع الرسائل في تلك العصر، لا في موضوعها ولا في شعارها ولا في بلاغتها ولغتها ولا في توقيتها ولا في حاملها إلى آخر تلك المعالم التي مازال الباحثون ينهلون من نبعها وإلى يومنا هذا، ويا ليت الحكام المسلمون في هذا العصر يولون تلك الوثائق النبوية الثمينة والتراث الذي يستحق البعث اهتمامهم، وإحيائه ليس في عالم الصناديق والمباني بل في ميادين العمل والممارسة .

وإن كان الحديث قد سبق عن هذا، فيبقى الحديث عن الأساليب والأساسيات التي انتهجتها الدول المعاصرة في كتابة المراسلات فيما بينها والتي تسمى (بالمذكرات الدبلوماسية)، ثم يقارن هذا بما جاء في الوثائق والرسائل النبوية الكريمة ، فما وافق منها مما جاء في المعالم السياسية الشرعية لم أعلق عليه لأنه هو الغالب في هذا الباب، وما خالف ذلك نبهت عليه في حينه .

تعتمد الدول في الوقت الحاضر على استخدام المذكرات الدبلوماسية لمخاطبة بعضها الآخر، فهي وسيلة دبلوماسية الأكثر استخداما والأيسر عملا .

---

(١) انظر : ص٥٤ من نفس البحث .

وللمذكرات الدبلوماسية أسلوب خاص لا يختلف من دولة إلى دولة، فعلى الرغم من أن الدول تختلف في النظم السياسية والقانونية والاقتصادية والأيدلوجية، إلا أن أسلوب المذكرات الدبلوماسية واحد بين جميع الدول من حيث الشكل والمظهر .

وإنما الاختلاف في مضمون المذكرة وموضوعها وهذه خاضعة لما يمليه الواقع ويقتضيه الزمان والحال .

وسأتناول ذلك على شكل مطالب عدة:

المطلب الأول
شعار المذكرة الدبلوماسية

تحرر المذكرات الدبلوماسية بصيغة محددة ومتقاربة وألفاظ محددة، وإن اختلفت مضامينها تبعا لاختلاف الموضوعات التي تعالجها .

وتبدأ المذكرات الدبلوماسية بشعار الدولة الخاص بها والذي يميزها عن الدول الأخرى، فلكل دولة أن تضع شعارها على أوراقها الرسمية تختاره بما يناسبها، وغالبا ما يمثل هذا الشعار علامات أو عبارات يحددها قانون كل دولة ويوضع في أعلى المذكرة والغرض منه التعريف بالدولة، ومن حق هذه الدولة أن تغير هذا الشعار بحسب ما تراه .

المطلب الثاني
البدء بتعريف المرسل

لما كانت السيادة أحد عناصر الدول الثلاث الأساسية، فإن متطلبات تلك السيادة أن تظهر الدولة وكأنها صاحبة السلطة والسلطان، وأنها متقدمة على غيرها من الدول بغض النظر عن كبر وصغر الدولة وقوتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، والدولة عندما تريد أن تبرز ذلك فإنها تراعي من جانب آخر أن لا تثير حفيظة الدول الأخرى التي تتخاطب معها، فتشير إلى تمسكها بسيادتها بأسلوب دبلوماسي عن طريق التحية في مذكراتها الدبلوماسية التي ترسلها إلى الدول الأخرى فتقول مثلاً:" تهدي الحكومة ..... تحيتها إلى الحكومة ....."وبذلك تبدأ الدولة بذكر اسمها أولا ثم اسم المرسل إليه بحجة التحية.

المطلب الثالث
طريقة نقل المذكرات الدبلوماسية

تُنقل المذكرات الدبلوماسية بين الدول عبر الطرق الدبلوماسية، وبحسب أهمية الموضوع الذي تتناوله المذكرة الدبلوماسية فقد يقوم بنقلها رئيس الوزراء أو مستشار رئيس الدولة، أو وزير أو وكيل وزارة، أو رئيس دائرة في الخارجية، أو سفير يُبعث لهذه المهمة وينظم هذا الأسلوب اتفاقية البعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م، أو السفير المعتمد في الدولة المرسل إليها وينظم هذا الأسلوب اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م .

وتمارس بعض الدول إرسال مبعوثيها من دون مذكرة أو رسالة يحملها إلى الدولة المستقبِلة ليكون عينا وجاسوسا لدولته، يمارس هذا الدور المشين باسم السفارة والسفراء .

و لم يكن هذا من هدي النبي ﷺ لأنه غدر وخيانة والنبي ﷺ ليس بغدّار ولا خائن، والأمر لم يقف عند هذا الحد بل تعدت أخلاقيات النبوة وشرعية الإسلام الغراء، إلى أن الكفار إذا بدر منهم خيانة للعهد الذي بيننا وبينهم فإنه لا يجوز للمسلمين أن ينقضوا العهد حتى يعلموهم بذلك ، حيث لا تُرد الخيانة بالخيانة قال الله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة الأنفال: ٥٨] .

المطلب الرابع
تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه

عندما ترسل الدول مذكرات دبلوماسية إلى ملوك ورؤساء الدول الأخرى فإنها تذكر أسماء هؤلاء ومناصبهم وأفضل الألقاب التي يوصفون بها والتي اختاروها لأنفسهم، كصاحب الجلالة أو الفخامة و السيادة وغيرها من الألقاب المحببة لهم .

المطلب الخامس
تحية المُرسَل إليه

تبدأ الدول في الوقت الحاضر مذكراتها الدبلوماسية بالتحية والسلام على المرسل إليه وتكاد أن تكون التحية بصيغة موحّدة بالشكل الآتي:" تهدي حكومة جمهورية ..... تحياتها للحكومة ..... وتود أن تبين...."، وتنتهي المذكرة بالسلام بالشكل الآتي:" وتنتهز الحكومة ..... هذه الفرصة للإعراب عن بالغ تحياتها للحكومة ....."، والغرض من ذلك ليس من أجل التحية بقدر ما هو ذكر اسم المرسل أولا قبل اسم المرسل إليه، وتعد الدول هذه الحالة جزء من تمسكها بسيادتها بغض النظر عن كبر أو صغر الدولة ومكانتها الدولية .

المطلب السادس
اللغة التي تُكتب بها المذكرات

تتجه الدول في الوقت الحاضر إلى كتابة المذكرات الدبلوماسية بلغتها الرسمية وتفرض دولة المَقَرِّ على البعثات الدبلوماسية أن تكتب المذكرات التي تتوجه إليها بلغتها الرسمية، وقد جرى العرف الدبلوماسي على أن تحرر المذكرات الدبلوماسية من قبل البعثات الدبلوماسية بلغة الدولة المعتمد لديها ولغة دولة السفارة .

كذلك تحرر المذكرات الدبلوماسية بالنسبة للبعثات الخاصة التي يحملها مبعوث خاص بلغتين نسخة بلغة الدولة المرسلة ونسخة أخرى بلغة الدولة المرسل إليها .

ومن ذلك يتضح أن كتابة المذكرات الدبلوماسية بلغة الدولة المعتمد لديها يعد جزءا من سيادتها فكل دولة تطبق لغتها الرسمية داخل أراضيها، ولما كانت البعثات الدبلوماسية تخاطب تلك الدولة فإن عليها أن تخاطبها بلغتها .

وبالنظر في الفقه السياسي الشرعي في رسائل النبي ﷺ إلى ملوك وأمراء عصره، نجد أنه كاتب الجميع باللغة العربية مع أن الغالب منهم لا يقرأ اللغة العربية ولا يفهمها إلا بمترجم،

وما ذاك إلا لأجل أن يفهم مقصود الرسالة كما جاءت على لسان مرسِلِها، ولأن لا يقع تحريف في الرسالة، وإن وقع فإنه من المترجم لا من الكتاب ولا من المُرسل، وعند التنازع في فهم مشكل فيها يتم الرجوع إلى أصل الرسالة لإزالة الإبهام .

وعند المقارنة يجد الباحث حسن ودقة وإحكام الرسائل النبوية على غيرها من الرسائل الأخرى .

المطلب السابع
وضع التاريخ على المذكرات

من الثابت أن التعامل الدولي المعاصر يوجب أن تؤرخ المذكرات الدبلوماسية، فلا تستلم المذكرة إذا كانت لا تحمل تاريخا محددا عليها، ذلك أن المذكرات الدبلوماسية وثائق دولية لا تكون كاملة بدون أن يوضع عليها تاريخا محددا، والتاريخ المعتمد في الوقت الحاضر بالنسبة لجميع الدول هو التاريخ الميلادي، إلا إذا كان للدولة تاريخا خاصا بها فيوضع تاريخها الخاص إلى جانب التاريخ الميلادي، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية .

المطلب الثامن
ختم المذكرات

تختلف الكتب الرسمية عن المذكرات الدبلوماسية، حيث تنتهي الكتب الرسمية بتوقيع الكتاب باسم المسؤول الإداري أو السياسي بينما لا توقع المذكرات الدبلوماسية ولا يوضع اسم المسؤول عليها وإنما تختم بختم الدائرة المُرسلة، ويبدو أن هذه الطريقة قديمة وسابقة على ظهور التواقيع (١).

(١) انظر في جميع ما سبق دبلوماسية النبي محمد ﷺ لسهيل الفتلاوي٢٣١-٢٤٢(بتصرف) .

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المرجع والمعاد؛ وبعد: فقد ظهر من دراسة الباحث لموضوعات هذا البحث نتائج مهمة يمكن إجمالها فيما يلي :

١- الرسالة تعني في الأصل: الكلام الذي أرسل إلى الغير ، وتأتي الرِّسالة أيضاً بمعنى آخر: وهي المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد .

٢- إن التعبير الحديث عن طبيعة علاقة الدول مع بعضها البعض بـ"القانون الدولي العام" هو مندرج تحت ما يسمى عند علماء المسلمين بـ"فقه السِّير" ، ويمكن أن يعرف (علم السِّير) بأنه : "علم يبحث المسائل والأحكام التي تبين طرق تعامل الدولة الإسلامية (دار الإسلام)، مع غيرها من الدول والجماعات والأفراد – من أهل الملل الأخرى – في الداخل والخارج"، ولعل هذا التعريف أقرب التعاريف لمقصود جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة خلافاً للحنفية .

وفي العصر الحديث درج كثير من الكتاب والمؤلفين في الفقه الإسلامي على استخدام كلمة القانون في فروع كثيرة من الفقه، ومن هنا برز هذا المصطلح مصطلح (القانون الدولي الإسلامي) ويراد به "القواعد الملزمة في معاملة غير المسلمين ، محاربين أو مسالمين ، سواء كانوا أشخاصاً أم دولاً ، في دار الإسلام أم في خارجها" .

وأما (القانون الدولي العام) فيراد به : " مجموعة القواعد القانونية التي تتضمن حقوق الدول وواجباتها وحقوق وواجبات غيرها من أشخاص القانون الدولي".

٣- في الجملة يمكن القول بأن عامة رسائل النبي ﷺ ومكاتباته للملوك والأمراء صحيحة بل قد ترقى إلى درجة التسليم بها والجزم بوقوعها .

٤- الأقرب – والله أعلم – أن النبي ﷺ كاتب اثنين من ملوك الحبشة الأول منهما : هو النجاشي أَصْحَمَةُ بن أَبْجُر الذي أسلم (وهو المقصود من هذه الرسالة)، والثاني

هو: النجاشي الذي تولى الحبشة بعد موت النجاشي الأول (أَصْحَمَةُ)، و لا يعرف له اسم .

٥- توصلتُ – على حسب علمي – إلى أن أصح الطرق والأخبار التي وردت في بيان نص الوثيقة المرسلة من النبي ﷺ للنجاشي هي التي جاءت من رواية الواقدي، وهي :((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلو(كذا بدون ألف) نصيحتي والسلام على من اتتبع (كذا بتائين) الهدى)) ، وسبب ترجيح هذه الرواية قد سبق الكلام حولها .

٦- الحبشة هي البلد المعروف في أفريقية ويسمى اليوم أثيوبية أو أثيوبيا، يدينون أهلها بالنصرانية ومنهم النجاشي أَصْحَمَةُ وذلك قبل أن يسلم .

وسبب تملك النجاشي أَصْحَمَة للحبشة قصة مشهورة – سبق الحديث عنها – ،وقد اشتهر بالعدل بين الناس حتى حدى ببعض المصادر إلى الإشارة أن عدل النجاشي بلغ حداً تحتكم إليه قريش في خصومة زعمائها، ومن هنا أشار رسول الله ﷺ لأصحاب الهجرة بقوله:"إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه . ." .

٧- الجزم واليقين بصحة إسلام النجاشي أَصْحَمَة وموته على الإسلام وذلك من خلال صلاة النبي ﷺ على أنه واحد من المسلمين، و الاستغفار له أيضا ، ثم إطلاق الرسول ﷺ (الأخوة) عليه أخرى،كل ذلك جاءنا بالسند الصحيح من روايات البخاري – كما في صحيحه – وغيره .

٨- قد أدرك النبي ﷺ أبعاد أهمية المذكرات الدبلوماسية التي أرسلها إلى الملوك والأمراء، وكان واثقا من نفسه وأصالة رسالته، ذلك أنها تعد من أنجع الوسائل الدبلوماسية القديمة المعاصرة، وأسلمها توثيقا لمواقف الدول، ولقد فاقت تلك الرسائل النبوية مثيلاتها في ذلك العصر وإلى اليوم ،بما تحمله من قيم إلاهية وأخلاق رفيعة، ومن هنا تم الوقوف على هذه الوثيقة النبوية العظيمة وإبراز شيئ من معالمها السياسية – بلغت ست معالم –، والتي تعد كغيرها من الوثائق وإلى اليوم مصدرا بارزا منسياً! من مصادر المذكرات الدبلوماسية بين الدول، يحسن إحيائها وبعثها .

٩- الرسول هو : الذي أمره المرسِل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض، ويقابل الرسول في العصر الحاضر السفير وهو: مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها، كمُوفدٍ دبلوماسي من الدولة، والسفارة هي: عمل السفير .

وفي دراسة لسفراء النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء – ومن بينهم سفير النبي ﷺ إلى النجاشي الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه – وما يمتلكون من صفات وقدرات منحتهم الكفاءة للقيام بتلك المهمة العظيمة، استخلصت منها صفاتاً ستة كان النبي ﷺ يختار على ضوئها في حكمة وكياسة لا يضارعان، وهي على سبيل الإجمال : النسب والشرف والأسبقية في الإسلام والشجاعة والإقدام وحفظ السر والفصاحة والبلاغة والحكمة والعقل والذكاء والفطنة .

١٠- كان وقت بعوث النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء في المحرم سنة سبع للهجرة، وبعث ستة نفر في يوم واحد، أولهم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه بعثه إلى النجاشي أَصْحَمَة، وفي المبادرة بإرسال النبي ﷺ رسله في هذا الوقت، وإرساله الستة دفعة واحدة، فيه من الفوائد السياسية وغيرها، وقد سبق الحديث عنها .

١١- إن رسائل النبي ﷺ إلى ملوك وأمراء عصره، لها عظيم الأثر، وأعظم المكاسب في الساحة السياسية، وهي كثيرة لكن من أهمها : إسلام النجاشي أَصْحَمَة رضي الله عنه ، الإعلان للعالم أن دولة إسلامية قد قامت ، نشر وتبليغ هذا الدين .

١٢- في عهد النبي ﷺ كان الرسل يرسلون في وقت محدد ولمهمة محددة - و لم تكن سفارات دائمة - وإن أعظم وظيفة يؤدونها هي الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة المحمدية، يليها حمل الكتب والرسائل و تمثيل الدولة وحماية مصالحها والتفاوض والاطلاع على الأحوال، و لقد كانت لسفارات النبي ﷺ أثرها في نشر الدعوة الإسلامية، حيث استجاب عدد منهم ودخلوا في الإسلام، وكشفت عن مواقف الآخرين من الدعوة، ومن هنا فارقت القوانين الدولية المعاصرة .

١٣- أحاط الإسلام شخصية الرسول أو السفير الذي يفد إلى دار الإسلام بالأمان التام والرعاية الكاملة، حيث يتمتع بعصمة الدم واحترام النفس وحفظ المال، وتظهر مكانة السفير وما يتمتع به من أمان واحترام في استقبال النبي ﷺ للسفراء والرسل الذين كانوا يفدون عليه لأغراض شتى ، ولقد جاء ت الآيات والأحاديث مؤكدة هذا الأمر وقد سبقت .

١٤- هناك مشابهة كبيرة بين الفقه السياسي الشرعي وبين القانون الدولي المعاصر في آثار الاعتداء على الرسل، وحرمة شخصه وعدم المساس به سلبا، وتجريم فاعله، ومعاقبة كل من اعتدى عليه، إذا لم يخالف نظام حقوق السفارة المتفق عليها بين الدولتين أو المجمع عليها بين الدول .

١٥- إن معاملة الرسل معاملة حسنة حق من حقوقهم، وهذا الحق لا ينتهي بانتهاء المهمة، بل يمتد حتى وصولهم إلى ديارهم تحقيقاً لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ﷺ ،ثم فعل ما اتفقت عليه الدول جميعاً، ولكن حاز علم الفقه السياسي الشرعي قصب السبق في رسم قواعد التعامل مع الرسل عند انتهاء مهماتهم، في أخلاقيات رفيعة وأدبيات سامقة، بعيدة كل البعد عن مساوئ الأخلاق و شرائر النفوس، ولقد جاء القانون الدولي العام ورسم قواعد التعامل مع الرسل عند انتهاء مهمتهم ولكنها كثيرة ومتشعبة، وفيها تداخل كبير بين الفقه السياسي الشرعي والقانون الدولي .

١٦- الدولة قبل أن تنشأ تحتاج إلى ثلاثة عناصر وهي: الشعب والإقليم والحكومة وإذا توفرت هذه العناصر فإن الدولة تصبح قائمة على الصعيد الداخلي لا الخارجي، بل لابد من إجراء قانوني من قِبَل الدول الأخرى يمنحها هذه الصفة، ويطلق على هذا الإجراء بالاعتراف .

وللاعتراف أنواع منها ما فعله النبي ﷺ مع النجاشي أصْحَمَة وهو أسلوب الاعتراف الواقعي فوصفه بأنه عظيم الحبشة – وغيره من ملوك وأمراء عصره وصفهم بذلك– لا من باب الاعتراف الشرعي ولكن من باب الاعتراف الواقعي .

١٧- تعتمد الدول في الوقت الحاضر على استخدام المذكرات الدبلوماسية لمخاطبة بعضها الآخر، فهي وسيلة دبلوماسية الأكثر استخداما والأيسر عملا .

وللمذكرات الدبلوماسية أسلوب خاص لا يختلف من دولة إلى دولة، من حيث الشكل والمظهر – وهذا ما تم تناوله في أساسيات كتابة النص الرسالي – ،وإنما الاختلاف في مضمون المذكرة وموضوعها وهذه خاضعة لما يمليه الواقع .

التوصيات :

١- على الساسة المسلمون والعلماء والمفكرون والمرشدون والباحثون وكل مهتم ومحب لسيرة المختار ﷺ أن يولوا تلك الوثائق النبوية الثمينة والتراث الذي يستحق البعث اهتمامهم، وأن يحيوها ليس في عالم الصناديق والمباني بل في ميادين العمل والممارسة .

٢- ما زالت تلك الوثائق تحتاج إلى التفاتة جادة من أهل التحقيق في التراث الإسلامي، لأن الأعمال والمنتجات الموجودة لم تصل ولا إلى عُشر تلك الوثائق في التحقيق والتنقيح ، فعلى المرشدين الأكاديميين أن يوجهوا نظر الباحثين إلى مثل هذه الكنوز العلمية المبثوثة في كتب السِّير والمغازي .

وفي الختام :

لك الحمدُ يا ربِّ والشكرُ ثمْ ** لك الحمدُ ما باح بالشكر فمْ
لك الحمد في كل ما حالة ** فقد خصَّني منكَ فضل وعمْ

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تم الانتهاء منه فجر يوم السبت الموافق ١٤٣٤/٧/٨هـ

صورة شمسية من كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي أصْحَمَة

الفهارس العامة

وتشتمل على :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأعلام .
- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

السطورة	رقمها	الصفحة
آل عمران :		
﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾	١٩٩	٤٧
الأنفطال :		
﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	١١١
التوبطلة :		
﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٨٩،٩٥، ٩٩
النحطل :		
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	٥٩
طظله :		
﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾	٢١	١٦
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾	٤٤	٥٩
الأحزاب :		
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	٢
سبطأ :		
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	٢٨	٢

المطلوبة	رقمها	الصفحة
غافظر:		
﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾	٣٤	٤٨
الملك :		
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾	١٤	٦٠
القلم :		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾	٤	٥٨

*****

فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	الصفحة
١.	أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما	٩٠
٢.	إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه	٤١
٣.	انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم	٨٤
٤.	إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُد ، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع	٩١
٥.	سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش	٣٧
٦.	قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش، فهلم فصلوا عليه، قال: فصففنا فصلى النبي ﷺ عليه ونحن صفوف، قال جابر: وكنت في الصف الثاني	٥٢
٧.	مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمَة	٥٢
٨.	نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي، ثم تقدم فصفوا خلفه فكبّر عليه أربعا	٥٢
٩.	نعى رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة يوم الذي مات فيه فقال: استغفروا لأخيكم	٥٢
١٠.	وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ	٢٤

*****

فهرس الأعلام

م	اسم العلم	الصفحة
١.	أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، الزهري البصري كاتب الواقدي	٣٠
٢.	أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، المعروف بابن حزم الظاهري	٢٦
٣.	أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي	٣٣
٤.	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني ، المعروف بابن تيمية	٣٨
٥.	أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ القلقشندي ثم القاهري	٣٣
٦.	أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، المعروف بابن حَجَر	٢٢
٧.	أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي	٢٢
٨.	أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري	٢٣
٩.	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي البصروي الشيخ عماد الدين المعروف بابن كثير	٢٢
١٠.	حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان الخطابي	٤٩
١١.	سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع الأندلسي	٣١
١٢.	عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ	٣٨
١٣.	عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ابن الجوزي	٣٣
١٤.	عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد	٣٣
١٥.	عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أبو محمد	٣١
١٦.	عبيد الله بن عبد السلام الرحماني المباركفوري	٢٣

م	اسم العظم	الصفحة
١٧.	علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، ابن برهان الدين الحلبي	٢٣
١٨.	علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير	٢٧
١٩.	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين أبو عبد الله، المعروف بابن القيم الجوزية	٢٦
٢٠.	محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر السرخسي	٨٥
٢١.	محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي	٢٢
٢٢.	محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني	٣٢
٢٣.	محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر	٣٢
٢٤.	محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم البستي، المعروف بابن حبان	٣٢
٢٥.	محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله الزرقاني	٢٣
٢٦.	محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري	٣٢
٢٧.	محمد بن علي بن أحمد (المدعو محمد) ابن علي بن خمارويه بن طولون	٣١
٢٨.	محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي	٣٠
٢٩.	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سَيِّد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح	٣١

*****

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ .

٣- إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة الإسلامية، للدكتورة سمية منسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١/١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت/ علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ.

٥- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين، ط١٥ - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

٦- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، ت/ د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هـ، ط الأولى.

٧- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله علاء الدين، ت/ أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـم.

٨- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تقى الدين أحمد بن على المقريزي، ت/ محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، ١٤٢٠/١٩٩٩. ، بيروت.

٩- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، ت/ يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، ت/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١١- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت/ الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

١٢- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ.

١٣- تاريخ خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، ت/ د. أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة – دمشق ، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ.

١٤- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، ت/ إبراهيم الأبياري، دار الفكر العربي – بيروت، ط١/١٤٠٥ .

١٥- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١٦- تكملة معجم المؤلفين ،وَفيات (١٣٩٧ – ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ – ١٩٩٥م)، لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم ، بيروت، ط/١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م .

١٧- تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت/ مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الرياض / السعودية.

١٨- تهذيب الكمال مع حواشيه، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، ت/ د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

١٩- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد المعروف بالأمير الصنعاني، ت/ أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٠- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد المعروف بالأمير الصنعاني، ت/ أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢١- الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت/ السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥م.

٢٢- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣- دبلوماسية النبي محمد ﷺ (دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر)، للدكتور سهيل الفتلاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١/٢٠٠١م .

٢٤- دلائل النبوة، للإمام البيهقي، ت/ الدكتور عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية . ودار الريان للتراث، ط١ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م

٢٥- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ، لمحمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي ، ت/ كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١/ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٢٦- رسالة النبي ﷺ إلى هرقل (دراسة مقارنة بالقانون الدولي العام) بحث تكميلي في قسم السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء، لمحمد بن عبد الرحمن العقيل،١٤٢٩-١٤٣٠هـ .

٢٧- رسل الملوك، ابن الفراء، ت/ د.صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

٢٨- الروض الأنف في شرح السِّير النبوية لابن هشام ، لعبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، ت/ عمر بن عبدالسلامي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط١/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٣٠- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

٣١- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى، ت/ أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٢- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٣٣- السِّيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة بيروت، ط ١٤٠٠هـ.

٣٤- السِّيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، دار إمام الدعوة، الرياض، ط٣-١٤٢٤هـ .

٣٥- السِّيرة النبوية، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ت/ مصطفى عبد الواحد، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧١ م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان.

٣٦- شرح السنة للإمام البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، ت/ شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي - دمشق . بيروت . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة الثانية.

٣٧- شرح السِّير الكبير، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، الشركة الشرقية للإعلانات، ط ١٩٧١م .

٣٨- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، اعتناء محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٣٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، ت/ د.يوسف علي طويل دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.
٤٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـم.
٤١- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،ط١ ١٤٢٢هـ .
٤٢- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٤٣- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، ت/ إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة : ١ – ١٩٦٨ م.
٤٤- عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، للدكتور محمد أمين حلواني والشيخ عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، ط١/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٥- العلاقات الدولية في الإسلام، للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي- مصر،١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٤٦- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، لمحمود بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث ، بيروت .
٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.
٤٨- فقه المتغيرات في علائق الدولة الإسلامية بغير المسلمين، للدكتور سعد العتيبي، دار الفضيلة، الرياض، ط/١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .
٤٩- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم (رحمه الله)، دار الشروق القاهرة.
٥٠- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، ت/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨/ ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٥١- القانون الدولي العام، للدكتور عبد الواحد محمد الفار، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١٩٩٤ .
٥٢- كتاب الحاوي الكبير الماوردي، العلامة أبو الحسن الماوردي، دار الفكر بيروت.
٥٣- كتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، ت/ عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٥٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ.
٥٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.
٥٦- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت/ أنور الباز – عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
٥٧- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، دار النفائس، بيروت ،ط٦/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٥٨- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ت/ محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٥٩- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ت/ محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، طبعة جديدة ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
٦٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.
٦١- معاهدة النبي ﷺ لأهل نجران (دراسة مقارنة بالقانون الدولي العام) بحث تكميلي في قسم السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء، لأحمد بن محمد عريشي، ١٤٢٩-١٤٣٠هـ .
٦٢- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٦٣- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٤- معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت/ عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٦٥- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ.

٦٦- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف - المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٦٧- المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي)، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل»، ت/ د. أحمد مختار عمر و د. ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.

٦٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.

٦٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ.

٧٠- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة .

٧١- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، ت/ د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.

٧٢- نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، ت/ محمد عوامة، مؤسسة

الريان للطباعة والنشر – بيروت –لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية– جدة – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٧٣- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٧٤- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الخضري، ت/ هيثم هلال، دار المعرفة بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٥- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إدارة الطباعة المنيرية.

٧٦- الهجرة إلى الحبشة (دراسة مقارنة للروايات)، للدكتور محمد بن فارس الجميل،دار الفيصل الثقافية، الرياض، ط٢/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٧٧- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر/ الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة.

٧٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، ت/ إحسان عباس، دار صادر – بيروت .

*****

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
أهمية البحث	٣
المشكلة البحثية	٤
أسباب اختيار الموضوع	٥
الدراسات السابقة	٥
منهج البحث	٧
خطة البحث	٩
التمهيد :	١٣
المبحث الأول : التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث	١٤
المطلب الأول : تعريف الرسالة	١٤
المطلب الثاني : تعريف القانون الدولي الإسلامي (فقه السِّير)	١٥
المطلب الثالث : تعريف القانون الدولي العام	١٨
المبحث الثاني : نص الرسالة وتوثيقها	١٩
المطلب الأول : في تعيين شخصية النجاشي الذي كاتبه النبي ﷺ	٢١
المطلب الثاني : أصح الطرق والأخبار في بيان نص الوثيقة المرسلة من النبيﷺ للنجاشي	٢٩
المبحث الثالث : الموقف من الرسالة	٣٦
المطلب الأول : حال الحبشة قبل إرسال الرسالة	٣٦
الفرع الأول : نبذة عامة عن أرض الحبشة	٣٦
الفرع الثاني : ديانة أهل الحبشة	٣٨
الفرع الثالث : قصة تملك النجاشي أَصْحَمَة للحبشة	٣٨
الفرع الرابع : علاقة الحبشة بالجزيرة العربية	٤٠
المطلب الثاني : موقف النجاشي من رسالة النبي ﷺ	٤٢
الفرع الأول : تحديد وقت إسلام النجاشي	٤٦

الموضوع	الصفحة
الفرع الثاني : جواب النجاشي على رسالة النبي ﷺ	٥٠
الفصل الأول **فقه السياسة الشرعية في رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي**	٥٣
المبحث الأول : التفسير السياسي لنص الرسالة	٥٤
المطلب الأول : شعار الوثيقة النبوية	٥٧
المطلب الثاني : البدء بتعريف المُرسِل	٥٨
المطلب الثالث : تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه	٥٩
المطلب الرابع : تحية المُرسَل إليه وتوديعه	٦٠
المطلب الخامس : موضوع الوثيقة النبوية	٦١
المطلب السادس : لغة الوثيقة النبوية	٦٣
المبحث الثاني : السياسة في اختيار الرسل وإرسالهم	٦٤
المطلب الأول : صفات الرسل والسفراء	٦٦
المطلب الثاني : لمحة تعريفية عن الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه	٦٨
المبحث الثالث : المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية	٧٢
المطلب الأول : التوقيت المناسب في مراسلات النبي ﷺ	٧٢
المطلب الثاني : فوائد المبادرة في الإرساليات وأثرها في العلاقات السياسية	٧٦
المبحث الرابع : المكاسب السياسية للرسائل النبوية	٧٨
الفصل الثاني **مقارنة فقه السياسة الشرعية في رسالة النبي ﷺ** **إلى النجاشي بالقانون الدولي العام**	٨٠
المبحث الأول : وظائف الرسل ومهماتهم	٨٣
المطلب الأول : وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي	٨٤

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني : مقارنة وظائف الرسل ومهماتهم في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام	٨٨
المبحث الثاني : حصانة الرسل	٨٩
المطلب الأول : حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي	٨٩
المطلب الثاني : مقارنة حصانة الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام	٩٣
المبحث الثالث : آثار الاعتداء على الرسل	٩٥
المطلب الأول : آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي	٩٥
المطلب الثاني : مقارنة آثار الاعتداء على الرسل في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام	٩٧
المبحث الرابع : قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم	٩٩
المطلب الأول : قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي	٩٩
المطلب الثاني : مقارنة قواعد معاملة الرسل عند انتهاء مهماتهم في الفقه السياسي الشرعي، بما يقابله في القانون الدولي العام	١٠٤
المبحث الخامس : الاعتراف بالسيادة	١٠٥
المطلب الأول : الاعتراف في القانون الدولي	١٠٥
المطلب الثاني : أنواع الاعترافات في الواقع الدولي المعاصر، ومقارنة ذلك بالفقه السياسي الشرعي	١٠٦
المبحث السادس : أساسيات في كتابة النص الرِّسالي	١٠٨
المطلب الأول : شعار المذكرة الدبلوماسية	١١٠
المطلب الثاني : البدء بتعريف المُرسِل	١١٠
المطلب الثالث : طريقة نقل المذكرات الدبلوماسية	١١١
المطلب الرابع : تحديد اسم المُرسَل إليه ولقبه	١١١
المطلب الخامس : تحية المُرسَل إليه	١١٢

الموضوع	الصفحة
المطلب السادس : اللغة التي تُكتب بها المذكرات	١١٢
المطلب السابع : وضع التاريخ على المذكرات	١١٣
المطلب الثامن : ختم المذكرات	١١٣
الخاتمة	١١٤
صورة شمسية من كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي أَصْحَمَة	١١٩
الفهارس	١٢٠
فهرس الآيات القرآنية	١٢١
فهرس الأحاديث النبوية	١٢٣
فهرس الأعلام	١٢٤
فهرس المصادر والمراجع	١٢٦
فهرس الموضوعات	١٣٤